474

HARLEQUIN

روايات أحلام

الحب المرّ

ريبيكا ونترز

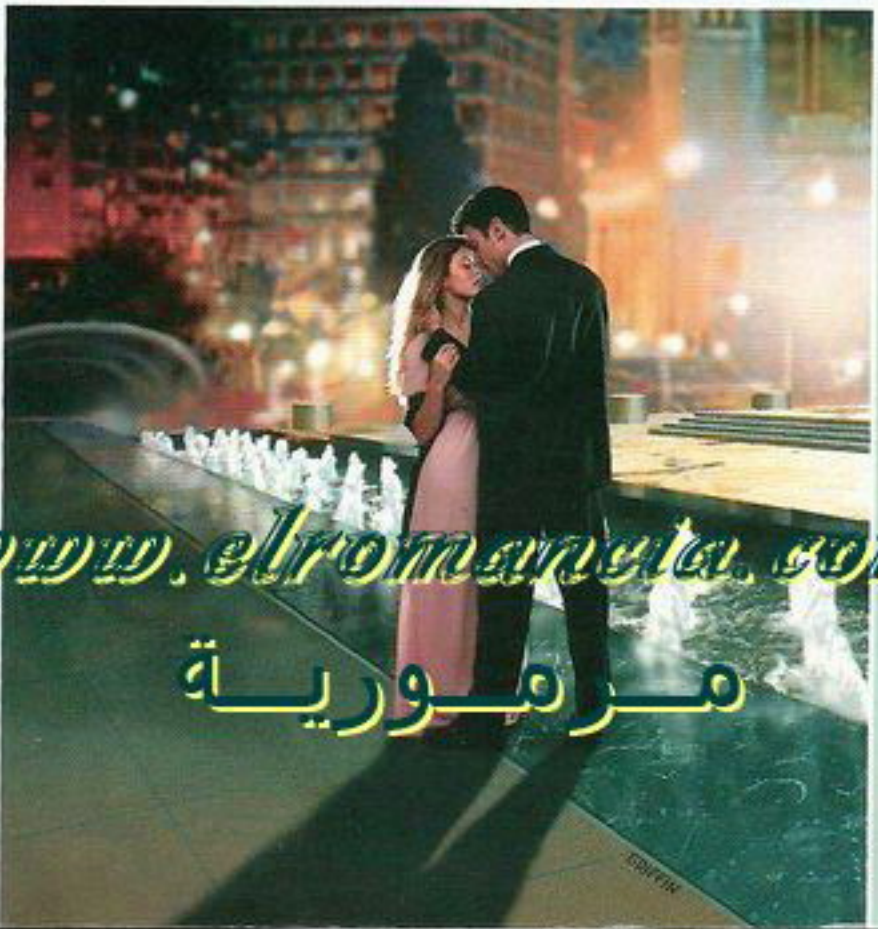

www.elromancia.com
مرمورية

الحب المرّ

شعرت بايبر داتشتس كما لو أنها وُضعت على الرف.
حظيت شقيقتاها بزواجين سعيدين، بعد أن تزوجتا من شابين رائعين، فيما بقيت بايبر وحدها في نيويورك.
أصبحت حياتها متمحورة حول العمل، أما الحب...!
أخيراً قررت أن تضع خطة: إنها تعرف الرجل الذي ترغب في الزواج به. إنه رجل نبيل أرستقراطي يدعى نك باسترانا! والآن يبدو أن نك بحاجة إلى مساعدتها، فمستقبل عائلته يعتمد عليها.

ريبيكا وينترز

أم لأربعة أولاد، ومعلمة سابقة.

تركت مهنة التدريس حيث كانت تدرس اللغتين الفرنسية والإسبانية. أصبحت اليوم قادرة على تمضية المزيد من الوقت مع أسرتها، والقيام بالأسفار وكتابة الروايات لـ «ميلز أند بونز». تلك الروايات التي تحبها كثيراً.

يمكنكم زيارة موقعها على الإنترنت:

http: www. rebeccawinters-author.com

١ ــ فراق ولقاء

شهر آب؛ كينغستون، نيويورك.

- شكراً لأنك استقبلتني من دون موعد مسبق، د. أرنافيتس. لم أزر طبيباً نفسياً من قبل، لذا فأنا متوترة.

أمال الطبيب رأسه المغطى بالشعر الرمادي، وقال: «شعور مرضاي بالتوتر هو أمر طبيعي لاسيما في الزيارة الأولى. لِمَ لا تخبريني عما يزعجك؟ سنبدأ من هناك».

جلست بايبر داتشيس على حافة الكرسي ويداها متشابكتان بشدة عند أعلى ركبتيها. قالت قبل أن تنهمر الدموع الحارة على خديها المتوردين: «كل شيء يزعجني...».

من دون أن يتفوه بكلمة، دفع الطبيب علبة المناديل الورقية نحوها. أخذت بايبر واحداً، ومسحت الدموع عن وجهها. حين استعادت القليل من هدوئها، أضافت: «لأول مرة في حياتي أشعر بالوحدة حقاً، وأنا لا أتقبل هذا الأمر جيداً. ولكي أكون صادقة، أنا لا أتقبل الأمر مطلقاً...».

ثم أخذت تبكي مجدداً.

- هل تعنين عاطفياً... جسدياً...؟

- الاثنان معاً.

جففت بايبر عينيها الرطبتين بمنديل آخر.

- من خلال ملفك أرى أنك عزباء في السابعة والعشرين من

www.elromancia.com

عمرك. هل انفصلت عن حبيبك أو خطيبك؟

لا! نك لا ينتمي إلى أي من هاتين الفئتين. على أي حال هو لم يبد اهتماماً بها. في الواقع، لطالما كان نك دو باسترانا المتحدر من آل بارما بوربون في إسبانيا بعيد المنال بالنسبة إليها، بالرغم من أنها لم تعرف ذلك حين التقت به وابني عمه.

ردت بايبر بصوت مرتجف: «لا!».

ثم أكملت: «... لكنني أتصور أن الأمر يجب أن يبدو كذلك. لا عجب أنها تجربة جارحة».

- أخبريني عن عائلتك.

- توفي والداي، أما شقيقتاي غريس وأوليفيا فهما متزوجتان الآن، وتعيشان في أوروبا. لم يمضِ وقت طويل على زواج أوليفيا في ماربيلا... أنا عدت من إسبانيا إلى نيويورك منذ ثلاثة أيام فقط.

- هل تعيشين بمفردك؟

هزت بايبر رأسها بالإيجاب. ثم قالت موضحة: «في شقة أرضية هنا في كينغستون. سكنّا فيها نحن الثلاثة بعد وفاة أبي هذا الربيع».

- أليس لديكِ أقارب؟

- لا! كان والدانا كبيرين في السن حين تزوجا. وتوفي كل أفراد عائلتهما.

- إذاً، أنت وحيدة فعلياً الآن؟

أخذت حنجرة بايبر تخزها ألماً. ردّت: «نعم. أبدو كطفلة كبيرة، أليس كذلك؟».

- أبداً. لدى معظم الناس أقارب يعيشون في البلد نفسه على الأقل. ما هو موقعك في العائلة؟

اعتقدت بايبر أنها فهمت قصده، فأجابت: «أنا الفتاة الوسطى، لكن ذلك يبدو خادعاً لأنني وشقيقتي توائم متشابهات».

- آه...!

من الواضح أن ردها هذا أجابه عن بعض أسئلته.

- لم أشعر بوحدة كهذه من قبل مطلقاً. لست أتكلم عن الفراق الجسدي عن شقيقتي فحسب. الأمر ذهني أيضاً.

علق الطبيب: «انتهى زمن الفرسان الثلاثة!».

صاحت بايبر: «نعم!».

ثم أردفت: «تماماً! الكل للفرد، والفرد للكل. أصبح لديهما زوجان، ولن يعود أي شيء إلى سابق عهده».

- هل أنتِ غاضبة بسبب ذلك؟

أحنت بايبر رأسها، وقالت: «نعم. أعرف أن من المروع قول شيء مماثل».

- أنتِ مخطئة. هذا هو الصدق بعينه. لو قلت لي غير ذلك لما صدّقتك.

- زواجهما هو خطأي، وليس عليّ أن ألوم أحداً غير نفسي.

- هل تقصدين أنك صوبت المسدس نحو رأسي زوجيهما كي يطلبا يديهما؟

ضحكت بايبر بالرغم من دموعها المنهمرة. لو عرف فقط حدّة المكائد التي دبرتها! أجابت: «لا».

- كيف تقولين إذاً إن زواجهما هو خطؤك؟

- هذه قصة طويلة.

- لدينا عشرون دقيقة بعد.

ما يعني أن من الأفضل أن تتطرق إلى الموضوع بسرعة. شرعت بايبر بالكلام: «غريس هي الكبرى. لطالما كانت تملي على أوليفيا وعليّ ما يجب فعله. هي التي أقنعتنا بأن نؤسس شركة عبر الإنترنت بعد تخرجنا من الجامعة. خططت لأن نصبح مليونيرات مع بلوغنا الثلاثين من العمر، لذا قالت إن أياً منّا لا تستطيع أن تتزوج، وإلاّ فإن كل شيء سوف يتبدد. لم تكن أوليفيا أو أنا نهتم بأن نصبح

مليونيرات، ورأينا أننا بحاجة لأن نتزوج أولاً، فتلتقي كل منا بالرجل المناسب، ونستقر لنعيش بسعادة مثل والدينا».

توقفت بايبر قليلاً عن الكلام ثم أردفت: «شعر أبي بالقلق بشأن موقف غريس أيضاً. قبل وفاته توصلنا أنا وأوليفيا إلى خطة تقضي بأن يترك لنا مبلغاً من المال في صندوق خاص نسمّيه «صندوق الزوج». أما الشرط القانوني الوحيد فهو أننا لا نستطيع استخدام المال إلا بهدف إيجاد زوج، ليس إلاّ. بالطبع، وافق أبي على الفكرة من صميم قلبه، ولم يسمح لغريس بأن تعرف أننا صاحبتا تلك الفكرة. في شهر حزيران، خططنا لرحلة إلى الريفييرا، وهو المكان المثالي لكل واحدة منا كي تلتقي بفارس أحلامها. أرادت غريس أن تلتقي برجل يجعلها تنسى هدفها بأن تصبح مليونيرة. اتبعت ذلك المسار لأنها رغبت في تحقيق أمنية أبي الأخيرة، لكنها لم تنوِ أن تتزوّج، بل أن تجد رجلاً يتقدم بطلب الزواج منها أثناء تلك العطلة، ثم ترفض هي عرضه بهدف المرح لا أكثر».

أضافت بايبر: «تظاهرنا أننا نسير معها في الخطة، لكننا فوجئنا حين التقت رجل أحلامها ماكسيمليانو فارانو وانتهى بها المطاف بأن تتقدم هي بطلب الزواج منه! تزوجا في غضون ستة أسابيع، وهما يعيشان الآن في إيطاليا. بدا الأمر رائعاً. فقد عنى أننا نستطيع أنا وأوليفيا أن نعود إلى نيويورك ونكمل خطتنا. لكن بعد ذلك...».

ارتجف صوت بايبر، قبل أن تستأنف الكلام قائلة: «... وقعت أوليفيا بغرام ابن عم ماكس، لوسيان دو فالكون، من آل بارما بوربون أيضاً. تزوجا منذ بضعة أيام، وسيعيشان في موناكو».

هزّ الطبيب رأسه إلى الأمام والوراء، وقال: «إذاً أنتِ حرّة الآن لتنشغلي بشأنك الخاص».

علقت تنهيدة في حنجرتها، وأجابت: «أشعر أنني لن أجيد القيام بذلك بعد اليوم».

استقام د. أرنافيتس في جلسته، وقال معلّقاً: «قد تكون نهاية الفرسان الثلاثة هي نهاية زمن الصبا، إلاّ أنها بداية حياة بايبر داتشس كامرأة تسيطر على عوالم جديدة. يمكنك أن تستقلي الطائرة التالية لتصلي إلى أوروبا».

أجابت بايبر بصوت خافت: «أعرف ذلك».

لكن نك هناك! بعد أن رفضها، أبت بايبر أن ترضيه بالإيحاء له أنها تلاحظ وجوده.

- أما زلت تعملين في تلك الشركة عبر الإنترنت؟

- نعم.

- أخبريني عنها.

- أنا فنانة. أرسم صوراً لروزنامات الجدار مرفقة بشعارات تلفت أنظار النساء. على غرار «إذا أردت أن تنجز أفعالك، اطلب ذلك من امرأة». غريس هي التي ابتكرت الشعارات، وأوليفيا قامت بتسويقها.

ابتسم الطبيب، وسألها: «هل تدرّ عليك المال الكافي؟».

- نعم. إنها تحقق نسبة جيدة من المبيعات في الولايات المتحدة، وسوف يتم توزيعها في مدينتين في أوروبا.

- أنت محظوظة. لِمَ لا تغيرين الوضع لمصلحتك؟

- ماذا تقصد؟

- أرادت أختك أن تصبح مليونيرة حين بلوغها الثلاثين من عمرها، وأردتِ أنت أن تتزوجي. ماذا لو شغلتِ نفسك بكمية المال التي يمكنك أن تجنيها إلى حين تبلغين الثلاثين من عمرك. وسّعي آفاق عملك. يمكنك الوصول إلى أميركا الجنوبية وأستراليا والشرق الأقصى. جهزي لكِ مكتباً، ووظفي طاقماً من المساعدين. كوني ملكة على عرشك. حوّليه إلى مملكة. من يدري ماالذي يحمله المستقبل لك؟ إذا بقيت في تلك الشقة، وتمسكت بغضبك، لن يشفق أحد عليك. لا تملك كل امرأة مثل ذكائك ولا موهبتك ولا صحتك

ولا ملامحك الشقراء اللطيفة، ولا مقدرتك على فعل ما ترغبين بفعله. ما من شيء سلبي يردعك إلاّ تحسرك على ذاتك.

عرف د. أرنافيتس كيف يضع الإصبع على الجرح تماماً. إلاّ أنّ هذا هو المطلوب بعد أن دفعت له مئتي دولار مقابل نصف ساعة. شكرته بايبر، وقالت له إنها ستفكر ملياً بما اقترحه عليها.

في طريق عودتها إلى الشقة في سيارة أبيها البونتياك القديمة، ظل إرشاد الطبيب ولومه يدوران في ذهنها؛ كوني ملكة على عرشك! وظفي طاقماً من المساعدين...!

حين وصلت إلى المنزل، كانت قد قرّرت أن تصبح مليونيرة قبل أن تبلغ الثلاثين من عمرها. هذا سيبرهن لنك أنها لا تحتاج إليه. سارت إلى غرفة الجلوس التي حولتها وشقيقتاها إلى مكتب، ثم اتصلت بدان جاردين، وهو حبيب غريس السابق الذي لم يكن له أي أمل معها قط. يملك دان الشركة التي تطبع الروزنامات وتبيعها وتوزعها في أنحاء الولايات المتحدة، وهو الذي يدير العمل أيضاً.

- مرحباً. دان!

- بايبر! لم أعرف أنك عدت من أوروبا. كيف جرت الأمور؟

لاحظت بايبر أنه لم يسأل عن غريس، إنه رجل ذكي! قررت أن تتماثل به فلا تسأل أختيها عن نك.

- أوليفيا هي متزوجة الآن من لوسيان دو فالكون. هكذا جرت الأمور! سأدعك أنتَ تخبر فريد.

فريد هو حبيب أوليفيا السابق وصديق دان.

بعد صمت طويل، قال دان: «هذا محبط جداً. لا بد أن هناك شيئاً ما في جينات هذه العائلة يستطيع التأثير في توائم هذه العائلة داتشس».

آه... لابد أنه يقرأ أفكار بايبر! أيعقل أن يكون هناك تفسير علمي لحقيقة أن بايبر وأختيها أغرمن برجال ينتمون إلى العائلة نفسها؟

صرّحت بنبرة جافة: «لكن ليس هذه التوأم».

- أتعنين أن هناك أملاً لتوم بعد كل ما حصل؟

- لا!

توم هو حبيب بايبر السابق وصديق آخر مخلص لدان. في أحد الأيام، خرج الستة معاً، وتمتعوا بالتزحلق على المياه وبمشاهدة الأفلام. حين حصل ماكس على غريس، بدا ذلك نهاية ثالوث الفتيات الأبدي، وتشكلت جبهة الحليفتين، لكن سرعان ما وقعت أوليفيا تحت سحر لوك. أما بالنسبة إلى بايبر...

قررت بايبر أنها لن تسلم مشاعرها مجدداً لرجل قط.

- لدي عرض عمل لك، وهو عرض لا يستهان به.

- إلى أي مدى؟

- أتريد السفر إلى سيدني وطوكيو وريو دي جينيرو معي كي تكتشف الأمر؟ بحسب الإيرادات، سوف نتحد ونطرح الحصص في سوق البورصة. هل أنت مهتم بالموضوع؟

ساد الجو صمت طويل مطبق، ثم سألها دان: «متى تريدين أن نلتقي كي نتكلم؟».

- هذا المساء إذا لم تكن منشغلاً. أولاً، نحتاج إلى إيجاد محام بارع للشركة.

- حسناً! لكن ماذا عن أوروبا؟

تجمّد جسد بايبر، وأجابت: «انسَ الموضوع. لن تطأ قدماي تلك القارة مجدداً».

- أنتِ لا تعنين ذلك، بايبر. شقيقتاك تعيشان هناك.

- إذاً، عليهما أن تأتيا إليّ إذا أرادتا رؤيتي.

- ماذا يفوتني هنا؟ اعتقدت أن دخول الأسواق الجديدة كان سبب وجودك في إسبانيا في الأسبوع المنصرم.

- هذا ما اعتقدته أيضاً، حتى اكتشفت أن في الأمر مكيدة. لا

أريد التطرق إلى الموضوع حقاً.

- إذا كنتِ تريدينني شريكاً في العمل، أخشى أن يكون عليك التطرق إليه. كيف تمّ خداعك؟ والأهم... لماذا؟

قالت بايبر وهي ما زالت تلتهب حنقاً: «استخدم ابنا عائلة فارانو نفوذهم الفعّال ومالهم لإقناع السيد توزيتي بأن يكون موزّع عملنا الأوروبي. كانت تلك خطوة ذكية من قِبل لوك. أغرى أوليفيا لتعود مجدداً إلى أوروبا من خلال عرض عمل مربح، وهكذا استطاع أن يكسب مسامحتها لوحشيته المطلقة تجاهها. عملت خطته الحاذقة بشكل ناجح، وهما الآن يقضيان شهر العسل».

أردفت بايبر: «لكنني لا أريد شيئاً من المال الذي يجنيه مبيع الروزنامات هناك. لم نربح ذلك العقد من السيد توزيتي استحقاقاً لمواهبنا فحسب».

سوف تتقاسم بايبر الأرباح التي تم جنيها في أوروبا مع أختيها، لكنها لا تنوي أن تحتفظ بفلس واحد له علاقة بنك!.

تمتم دان قائلاً: «لا أستطيع القول إنني ألومك على ذلك».

- شكراً لتفهمك.

- أنا أفهم أكثر مما تظنين، لكنك الفنانة أولاً وأخيراً. فنانة رائعة أيضاً.

- شكراً دان.

- سوف تصبحين مشهورة في أحد الأيام، بايبر.

هذا ما قالته أوليفيا قبل أن تدرك الفتاتان أنهما وقعتا في المكيدة.

يومها علقت بايبر: «لا نعرف ذلك حتى الآن. دعينا لا نتوقع الأحداث».

- لما دفع السيد توزيتي لنا مسبقاً لنأتي إلى إسبانيا لو لم يؤمن أن باستطاعتك النجاح. حين يرى ماذا فعلت خلال ثلاثة أيام فقط، سوف يقوم بإرسالك إلى مختلف أنحاء العالم. فرنسا، سويسرا...

اشتدّت يد بايبر على سماعة الهاتف، وأجابت: « لا يصبح المرء مشهوراً بسبب مجموعة من الروزنامات».

- الروزنامات تشكل جسر العبور فحسب. حان الوقت لتغيير عملك هذا.

بدا دان مثل د. أرنافيتس. سألته بايبر: «في أي مجال تقصد؟».

- التسويق التجاري على الانترنت والتلفزيون مثير جداً. فكري تفكيراً شاملاً، ولتكن السماء حدودك. الشركات العالمية الكبرى تدفع الملايين للفنان الذي يستطيع أن ينفذ الصورة العالمية الصحيحة.

طرفت بايبر بعينيها، وقالت: «منذ متى وأنت تفكر لي بهذا المشروع الضخم؟».

- منذ بدأت بطباعة الروزنامات لتصاميم داتشس تبين أن لديك تلك اللمسة العبقرية، بايبر. ربما مع مساعدتي، يمكننا أن نشعلها.

- تعجبني طريقة تفكيرك. هل يمكنك أن تأتي عند السابعة؟

- سأكون عندك مع بعض الأفكار التي أحملها منذ زمن طويل.

- هل أخبرت غريس عن الموضوع؟

- ماذا تعتقدين؟

- أنت محق. هذا سؤال غبي.

لا أحد يقول شيئاً لغريس مطلقاً إلا ماكس. نجح هذا الأخير في معانقتها حتى فقدت الوعي على متن سفينة البتسيوني، ثم قبض عليها وزجها في سجن إيطالي طيلة الليل. كان ذلك المسار المثالي لنيل قلبها، وانتهى بها المطاف إلى الاستسلام له. أما لوك فتصرّف بطريقة مختلفة قليلاً. بعد أن حطم قلب أوليفيا بسبب سوء تفاهم فظيع، أعادها إلى أوروبا بذرائع مختلفة، ثم أقفل عليها في سيارة ليموزين من تصميمه تعمل آلياً. وهي سيارة تتمتّع بالكثير من الإبداعات الذكية التي أفشلت محاولات أوليفيا الدفاعية، فسامحته على الفور.

شعرت بايبر بالسرور لما حصل للأزواج الأربعة. سرّت بهم حقاً،

إلا أنها لا تريد التفكير بزوجي أختها، لأن ذلك سيقودها إلى التفكير بنك، وذلك النوع من التفكير مدمر حقاً.

* * *

٢٦ كانون الثاني؛ ماربيلا، إسبانيا.

- سيد باسترانا؟

- نعم، فيلومينا؟

كان نك على وشك الخروج من المكتب الواقع في بانكو دي إيبريا. بما أنه أعاد تنظيم عمل شبكة فروع المصرف، فقد صار يتمتع بمردود مالي ناجح آخر فاق توقعاته، لكنه لم يفرح لذلك.

- ينتظرك سيد على الهاتف من شركة كريستي للمزاد العلني في نيويورك.

لمجرد ذكر نيويورك، تضاعفت سرعة نبض نك فجأة.

- هل أحوله إليك، أم أنك تريدني أن أتلقى منه رسالة؟

- سأتكلم معه الآن.

- نعم، سيدي.

سمع لكنة تبدو أميركية من الجانب الآخر من الهاتف: «السيد باسترانا؟».

- هو بنفسه. تفضل!

- معك جون فاشوم من قسم المجوهرات الصافية في شركة كريستي. منذ أن حذرتنا ونحن نراقب أي محاولة لبيع مجموعة مجوهرات ماري لويز التي سرقت من قصر عائلة فارانو في كولورنو في إيطاليا. عُرض هذا الصباح للمزاد العلني مشط مرصع بالجواهر من قبل بائع مجهول. اطلعت على سجلاتنا المختصة بالمجوهرات، وسحبت الصور التي زوّدتنا بها. تبدو القطعة التي نتكلم عنها مطابقة تماماً. كيف تريدني أن أكمل عملي؟

تضاعفت كمية الأدرينالين في دم نك، ما جعله ينهض على قدميه.

لاشك أنها معجزة! سوف يتخلص من الالتزام الجهنّمي تجاه عائلة خطيبته المتوفاة نينا روبلز، ولن يتكرر واجب الزيارة الشهرية الرهيبة بعد اليوم، أبداً.

- أقدّر تعاملك السريع مع الوضع، سيد فاشوم.

- أحاول جهدي.

من دون أي تفكير واع، أزال نك طوق الحداد الأسود عن ذراعه، ورماه في سلة المهملات.

- سيتصل بك عميل من وكالة الاستخبارات المركزية خلال ساعة من الزمن. في غضون ذلك احتفظ بالمشط، ولا تتفوه بكلمة لأحد.

- اعتمد علي.

نظر نك إلى ساعة يده. إنها التاسعة والنصف صباحاً في الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

- أنا في طريقي الآن إلى نيويورك. توقع مجيئي قبل وقت إقفالكم. سأحتاج إلى رقم هاتفك الخلوي كي نستطيع أن نبقى على اتصال.

فيما أخذ يسجّل الرقم، استجمع عقله قائمة بالأشخاص الذين يود مكالمتهم. في اللحظة التي أقفل الخط فيها اتصل نك بالمحقق الرئيسي في روما، وهو الذي يعمل على تنسيق الجهود بين مختلف عناصر الشرطة وبين الوكلاء السريين الذين يعملون على القضية. سوف يتصل السيد بارزيني بوكالة الاستخبارات في نيويورك. بعدئذٍ اتصل نك بالسيد روسّي الموثق الأول للمجوهرات، ورتّب له الأمر كي يسافر إلى نيويورك في إحدى طائرات عائلة فارانو. السيد روسّي يمكنه أن يؤكد ما إذا كان المشط المرصّع بالجواهر هو النموذج الأصلي. تعود هذه المجموعة من المجوهرات إلى دوقة من آل بارما، معروفة باسم ماري لويز آل بوربون من النمسا، وهي الزوجة الثانية لنابليون بونابارت. شكلت سرقة الثروة منذ حوالى العامين نكبة للعائلة

كلها، ومنذ ذلك الوقت، خاض نك وأبناء عمه تحقيقاً دولياً بمساعدة الشرطة والمحققين السريين. تمت استعادة قطعة موثقة حين ظهرت في مزاد علني في لندن في شهر آب الماضي. دفع نك ثروة صغيرة ليسترجعها، لكن لسوء الحظ، لم يُعثر على أي دلائل تشير إلى الشخص أو الأشخاص المسؤولين عن سرقة المجوهرات بعد. والآن بعد أن ظهرت قطعة أخرى من المجموعة في الولايات المتحدة، فقد نك الأمل بالحصول على فترة استراحة قصيرة من القضية.

اتصل نك بأبيه، لكنه لم يجده فسجّل رسالته على المجيب الصوتي. بعد أن أخبره عن الوضع، طلب منه أن يقدم اعتذاره لعائلة روبلز لعدم تمكنه من الانضمام إليهم. تربط عائلة باسترانا وعائلة روبلز علاقات وطيدة. بالرغم من ذلك، إن اعتقد والدا نينا أنهما يستطيعان أن يرشحا ابنتهما التي تبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً للارتباط بنك بدلاً من نينا بسبب عادة تجري في العائلة، فلابد أنهم أبعد عن الحقيقة أكثر ممّا افترض هو في البدء.

بعد أن استدعى نك سائقه، غادر المصرف عبر مدخل خاص، وصعد إلى مؤخرة الليموزين. في طريقه إلى المطار اتصل بربّان الطائرة، وطلب منه أن يحضّر طائرة باسترانا. لم تكن هناك حاجة ليتوقف في الفيلا. إذ لدى نك بدل من الثياب على متن الطائرة.

شعر بالابتهاج لأنه تخلّص من أصفاد عبوديته. اتصل بماكس ليعلمه بما حدث، إلاّ أنه قوبل بالمجيب الصوتي مرّة أخرى. ترك نك له رسالة تخبره عن مخططه، ثم اتصل بلوك.

- كنا أنا وأوليفيا على وشك الاتصال بك. سنبحر إلى مالوركا هذا الأسبوع. ما رأيك في أن تنضم إلينا نهار الأحد بعد أن تؤدي واجب الزيارة؟

بدا لوك رجلاً مختلفاً هذه الأيام. منذ زواجه بأوليفيا بات سعيداً فوق العادة. إنهما ينتظران مولوداً في شهر أيلول. لم يعرف نك قط

ثنائياً أكثر وجداً ما عدا ماكس وغريس اللذين طلبا طفلاً للتبني، وهما في فترة الانتظار الآن.

- لا شيء أحب إليّ أكثر من ذلك، لكن طرأ أمر هام. لدي أخبار لا تنتظر.

في بضع دقائق فقط، أخبر نك لوك عن الاتصال الذي تلقّاه من شركة كريستي. على الفور أصبح مزاج لوك أكثر رصانة، فقال: «سألتقي بك في نيويورك».

- لا! أنتَ وأوليفيا تحتاجان إلى وقت تقضيانه وحدكما. أنا أقول هذا لك لأنني سأغيب لبعض الوقت كي أتابع التحقيق.

- ما الذي يجري؟

أخذ نك نفساً عميقاً، وأجاب: «ماذا لو قلت لك إن الطوق يقبع الآن في سلة المهملات في مكتبي، وسوف يُرمى مع النفايات بعد بضع دقائق؟».

صرخ ابن عمه فجأة: «حمداً لله! تلك عادة قديمة جداً. ما كان من المفترض أن ترضخ لها. آمل أن يعني ذلك ما أعتقد أنه يعني».

همس نك: «هذا كل ما استطعت التفكير به منذ زفاف ماكس».

- قد تصادف مشاكل في العثور على بايبر. اتصلت بأوليفيا من سيدني في الأسبوع الماضي. لست متأكداً إذا كانت قد عادت إلى الولايات المتحدة.

- سأجدها، حتى لو كان علي أن أسافر إلى أستراليا.

- إذا عرفتُ شيئاً مختلفاً سأخبرك. هل أنت متأكد أنك لا تريدني أن آتي إلى نيويورك؟

- دعنا ننتظر ونرى ماذا سيقول السيد روسّي عن المشط. إذا كان أصلياً، علينا أن نتحادث مع ماكس.

- حسناً! انتبه لنفسك، وحظاً موفقاً يا رجل.

أدرك نك قصد ابن عمه. فمنذ زفاف لوك لم تقع عينا نك على

بايبر قط. بسبب الطوق الأسود الكريه الذي هو عبارة عن تذكير مقيت بماضيه الأسود، لم يتمكن من القيام بشيء حيالها. على مدى الأشهر الإحدى عشرة، والأيام الخمسة والعشرين، والساعات السبع الماضية كان نك يضع الطوق بإخلاص... ما خلا فترة امتدت لأربعة أيّام في شهر حزيران الماضي حين انتزعه كي يتخفى في هيئة ربان سفينة البتسيوني. بدت الأيام الأربعة له طويلة بما يكفي كي يفتتن بعينين خضراوين متموجتين باللون الأزرق، فيما كان وابنا عمه يلاحقون ثلاث توائم من عائلة داتشس، معتقدين أنهن السارقات المسؤولات عن اختفاء المجوهرات من قصر عائلة فارانو في كولورنو في إيطاليا. في تلك الفترة القصيرة، تغيّرت حياة نك إلى الأبد.

- سأحتاج إليه، لوك.

- ما هو مخططك؟

- سؤال جيد، كان علي الانتظار لأسبوع آخر قبل أن أزيل الطوق، لكن بما أنني سأغادر البلاد حتى أجل غير معروف، لن يشعر أحد بالفرق إلا بايبر. هذا إذا ما رضيت بأن تتكلم معي.

- إذا كان لأحد أن يكسب صداقتها فهو أنت. سأكلمك لاحقاً.

أجاب نك بثقة أكبر مما شعر: «سأُعلمك بالمستجدات عندما أتصل بك».

لم يكن نك متأكداً من شيء في ما يتعلق باهتمام بايبر. كل ما يعرفه هو أنه وجد صعوبة في التنفس وهو يتوقع رؤيتها مجدداً. الآن بعد أن أنهى فترة حداده، لاشيء سيقف في طريق حصوله على ما يريد...

* * *

٢٩ كانون الثاني؛ كينغستون، نيويورك.

- عذراً على المقاطعة بايبر، لكن ثمة رجل في الخارج يسأل عنك.

جان هي الموزعة السابقة للمنطقة الشمالية الشرقية لتصاميم داتشس، وهي مساعدة بايبر في الشركة التي أسّستها مع دان جاردين، والتي اتفقا على تسميتها «شبكة سايبر».

تابعت بايبر الرسم فوق طاولة التصاميم، فيما قالت: «لست هنا رسمياً حتى نهار غد».

انتقلت بايبر إلى الشقة التي تضم مكتب جاردين، حيث لا يزال دان يدير شركة الطباعة لديه. أعطاها الجناح الذي يقع بجانبه، بحيث يصل بينهما باب مشترك.

- قلت له ذلك، لكنه مصرّ على رؤيتك مهما كانت الظروف.

- ما اسمه؟

- قال إنه يفضل مفاجأتك.

- هذه طريقة لجوجة من بائع ما. هو على الأرجح المدير الإقليمي لآلات ميد فالي. هم يضايقوننا منذ أشهر كي نشتري منتوجاتهم. تخلصي منه، جان!

- حذّرني أنه لن يغادر قبل أن يكلمك. أخشى أنه يعني ما يقوله.

- كلهم يفعلون. اطلبي منه أن يتحدث إلى دان.

- لا يريد التحدث إليه.

- إذاً هو يضيّع وقتنا. لو أنه زبون لذكر لك اسمه، وبما أننا دفعنا كل الفواتير لايمكن أن يكون الدائن. قولي له إننا رجعنا لتوّنا من سيدني، وينتظرنا الكثير من العمل. غداً يوم الثلاثاء. سأراه غداً.

خلال الأشهر الستة السابقة، حصلت بايبر ودون على أربع صفقات إعلانية مربحة مع شركات أميركية في أستراليا وأميركا الجنوبية، لذا فإن أمام بايبر عملاً أكثر مما تستطيع تحمله الآن.

- أخشى أنه لن يقبل بكلمة «لا» جواباً.

تغيّر بسيط في صوت جان جعل بايبر تفكر في تغيير رأيها. إن توظيف جان مديرة للمكتب ورئيسة مبيعات الروزنامات في الولايات

المتحدة هو بمثابة «ضربة معلم». ولأن جان تمتلك حسّاً عظيماً في العمل، تفاجأت بايبر حين اكتشفت أن أحدهم قام بتخويف مساعدتها الجديدة.

- أيعقل أنك خائفة من الرد عليه بالرفض؟

- لديه هالة تحيط به. تعرفين... حضور مميّز، إنه غريب على الأرجح.

شعرت بايبر بوخز الشّعر المنسدل على مؤخرة عنقها. وسألتها: «إلى أي مدى هو غريب؟».

- إذا كنتِ تقصدين لغته الإنكليزية، فهو ينطق بها بامتياز مع لكنة بسيطة. أظنه قادماً من منطقة البحر الأبيض المتوسط.

- أهو أسود الشعر؟

- نعم. لكنه طويل القامة و... حسناً...! تعرفين... ذو بنية تودّين أن تجديها في كل رجل، إذا كنت تفهمين قصدي. بصراحة هو الرجل الأكثر جاذبية الذي رأيته في حياتي. أرجوك لا تخبري جيم بما تفوّهت به...

ثلاثة رجال فقط تنطبق عليهم تلك الصفة، وكلهم ينتمون إلى العائلة نفسها.

- هل تبدو لكنته فرنسية؟

- لا أعرف.

- هل تبدو عيناه سوداوين متقدتين؟

- لا. تبدوان بنيتين ثاقبتين.

حاولت بايبر أن تبلع ريقها، لكن بدا ذلك مستحيلاً. سألتها مجدداً: «هل يضع طوقاً في ذراعه؟».

- يضع... ماذا؟

- طوقاً أسود في ذراعه ليشير إلى أنه في فترة حداد؟

- لا. إنه يرتدي بذلة رائعة رمادية اللون. أعرف أن هذا قد يبدو

غريباً لك، إلاّ أنه يتصرف وكأنه... من العائلة المالكة.

قفزت بايبر عن طاولة التصاميم بدهشة قائلة: «جان! التقيت لتوّك الدوق دو باسترانا العتيد من آل بارما بوربون. نك هو ابن عم زوجي غريس وأوليفيا».

لاعجب إذا كانت جان قد تصرّفت وكأنها تمر بتجربة ستغير حياتها، إذ أكملت بايبر كلامها بنبرة ملؤها الرعب: «إذا كنتِ تقدّرين عملك جان، اسمحي لي أن أضع خاتم خطوبتك. أريده لبضع دقائق فقط... إلى أن يغادر هذا الرجل، أنا لست شريكة دان في العمل فحسب، بل أنا خطيبته أيضاً! هل فهمت ذلك؟».

هزّت معاونة بايبر رأسها ببطء إلى الأمام وإلى الخلف، وهي تنزع خاتمها الماسي المتواضع لتضعه بايبر في إصبعها. بدا الخاتم واسعاً قليلاً، لكن لم يؤثر ذلك في الأمر. إذ إنه سيؤدي دوره كخاتم خطوبة.

- شكراً! مقابل هذه الخدمة، سأعطيك علاوة على راتبك التالي. انصرفي الآن، ودعيه يدخل.

ارتعد قلب بايبر تحت كنزتها الزرقاء التي ارتدتها مع سروال الجينز هذا الصباح. جلست خلف مكتبها، ثم وقفت مجدداً محاولة أن تقرّر كيف سترحب به. حين وقعت عيناها على قامته الطويلة الأخّاذة في الممر، جلست مجدداً وقد أحسنت فعلاً، إذ إن قدميها لن تتمكنا من حملها.

صرّحت بايبر باستهتار مزيف، بادئة بالهجوم: «حسناً! حسناً! إنه ربان سفينة البتسيوني».

٢ ــ وشاءت الأقدار

- صباح الخير، سينيوريتا بايبر.

حين لاك نك حرف الراء بلسانه، شعرت بايبر برنينه في كل جزء من جسدها.

- في المرة الأخيرة التي رأيتك فيها، كنت مختبئة وراء الشجيرات في المزرعة، تنتظرين أن تأخذيني بعيداً لكي تفسحي المجال للوك وأوليفيا بأن يتعانقا بعيداً عن الأعين.

في ذلك الوقت، تمنّت بايبر أن ينسى نك فترة حداده ويعانقها. بدلاً من ذلك قادها إلى كنيسة العائلة، وهناك وجدت غريس وماكس، بالإضافة إلى عائلة بارما بوربون ينتظرون ليشهدوا على الزواج الوشيك للتوأم الصغرى لعائلة داتشس والابن الأكبر للدوق دي فالكون.

لابد أن نك يتذكر تلك الليلة أيضاً. التمعت على وجهه تلك الابتسامة.

- أيُعقل أنك أمضيت وقتك في المياه الأميركية؟ هل طرأت عليك ظروف عمل جعلتك تنتقل إلى الجزء الآخر من المحيط الأطلسي؟

رفع رأسه بفخر، بدا أكثر نحولاً وإرهاقاً، لكنه بدا أروع من ذي قبل.

- وصلتُ إلى نيويورك منذ بضعة أيام لأن قطعة مجوهرات أخرى من المجموعة المسروقة ظهرت في شركة كريستي للمزاد العلني، وتبيّن أنها الأصلية.

- لا تقل لي إنه تم العثور على قلادة الدوقة أخيراً.

- لا. بل هو مشط مرصّع بالجواهر.

نسيت بايبر كل ما يخص المجموعة. لو لم تضع هي وشقيقتاها قلادات الدوقة لديهن حين ذهبن إلى إيطاليا في رحلتهن الأولى، لما عرفن بشأن سرقة قلادة مطابقة لقلاداتهن من المتحف، ولما ارتبطن بأبناء العم الثلاثة، ولما التقت بنيكولاس دي باسترانا. على الرغم من أنه حطّم قلبها، إلا أن فكرة عدم التعرّف إليه بدت غير معقولة.

شعرت بالغضب بسبب ردة فعلها التلقائية تجاه نك، فقالت له: «إذا كانت أختاي قد اقترحتا عليك أن تأتي إلى هنا وتقنعني بأن أزور أوروبا، فأنت تضيع وقتك الثمين سدى».

وقف نك ورجلاه بعيدتان عن بعضهما قليلاً. وأجاب: «ليس لأختيك أي فكرة عن وجودي هنا».

التمعت على وجه بايبر ابتسامة باردة، وقالت: «بما أن فترة حدادك لن تنتهي إلا في شهر شباط، أراهن أن عائلة نينا لا تعلم أيضاً بوجودك هنا».

قامت بايبر عن قصد بذكر اسم خطيبته المتوفاة لتذكّره بالطريقة التي رفض تودّدها إليه بعد ظهر ذلك اليوم الحار بعد زفاف ماكس، وعندما هزأ منها لأنها لا تتصرف بلباقة مع رجل يضع طوق الحداد. الألم الذي سبّبه نك لبايبر لن يزول أبداً، وهي لن تسامحه مطلقاً.

لابد أن نك قرأ أفكارها، لأنه نزع عنه سترته برشاقة، موجهاً انتباهها إلى أنه لم يعد يحمل طوق الحداد على الجهة الخارجية من كم قميصه الرمادي الرقيق.

- كما ترين... لم أعد في فترة حداد.

- لا بد أن لديك عملاً آخر في نيويورك لذا نزعت الطوق عن ذراعك. لا يمكن أن تفعل هذا لأنك قرّرت أن تأخذ تلك القيلولة معي قبل أن تسافر مجدداً إلى ماربيلا. أيمكن ذلك؟

حدّقت بايبر به قليلاً، وأردفت: «في هذه المنطقة، هذا يُسمى خداعاً. وهو شيء لا أستطيع فعله».

برزت الخطوط على ملامح وجه نك الجميلة. جيد! لابد أنها ضربت على وتر حساس. سوف تظل تضغط عليه حتى تتخلص منه.

قال نك بصوت خفيض خشن: «جئت لأطلب منك خدمة».

توهّج خدّا بايبر وأجابت: «أحقاً؟ هل تعرف أخت نينا بذلك؟ فهمت أنها تستعد تماماً للشهر التالي حيث تتوقع أن تصبح خطيبتك».

أخذ عصب صغير ينبض في أعلى فك نك الأرستقراطي. لابد أنه شعر بالاحباط. لم يعد هنالك شيء مخفي في حياته الشخصية الآن، بما أن ابني عمه متزوجان من أختي بايبر.

- أنا هنا كي أتكلم عنا.

انفجرت بايبر قائلة: «عنا؟ ليس من وجود لنا معاً. عقدت خطوبتي في سيدني، وأنا أعرف ما يكفي عن آداب المجتمع اللائق كي لا أعبث مع أي رجل غير خطيبي».

ساد الجو صمت ملفت. ضاقت عينا نك وصارتا لوزيتي الشكل. بعدئذٍ قال: «لا أصدّقك».

كاد قلب بايبر يقفز إلى خارج صدرها. ردّت قائلة: «ما الذي لا تصدّقه؟ أن لدي مبادئ... أم أنني فتاة مخطوبة الآن؟».

فيما كانت بايبر تستمتع بلحظة الانتصار، اتصلت بدان. لاشك أن تلك مخاطرة كبيرة، إلا أنه يعرف كل شيء عن قلبها المحطم. يمكنها أن تعتمد عليه ليوافق معها على التظاهر بأنه خطيبها.

- دان!

- مرحباً! كنت على وشك أن أسألكِ إذا كنت تودين الذهاب لتناول الغداء معي عند ألفي.

استهلال حديث دان بدا ممتازاً.

- بالطبع أود ذلك! لكن أيمكنك أن تأتي إلى مكتبي لدقيقة

واحدة؟ لدينا زائر من إسبانيا. إنه نيكولاس دي باسترانا، ابن عم زوجي غريس وأوليفيا. إنه هنا كي يطلب مني خدمة، وبما أننا عقدنا خطوبتنا في سيدني، حبّذا لو تلتقيان.

قال دان من دون أن تبدو عليه أي علامة من علامات الدهشة: «سأكون هناك حالاً».

ما إن ظهر دان من الباب المشترك، حتى توجّهت بايبر إليه مسرعة. عانقته بحرارة، ثم نظرت إليه، وقالت: «حبيبي! نقلت لنك الخبر السعيد بشأن خطوبتنا».

وفيما استدارت نحو نك، أظهرت يدها له عن قصد كي يرى الخاتم. جالت في جسدها رعشة من الذعر لرؤية تعابيره الحادة.

- هذا خطيبي دان جاردين!

هز نك رأسه إلى الأمام والخلف، ولم يكترث لأن يمدّ يده للمصافحة. قال: «جاردين... ! ألم تكن مرتبطاً بغريس؟».

اضطربت بايبر للحظة.

- كنا نتواعد.

بعد جواب دان الموجز، انقلبت شفتا نك في نفور قبل أن يطوّق بايبر بنظرته النافذة الحادة. قال بصوته الخافت العميق: «الكل للفرد والفرد للكل. شعار عائلة داتشس».

قبل أن تصدق بايبر ما قاله الرجل، أمسك نك يدها، وعلّق قائلاً: «خاتم جميل جداً، لكنه واسع قليلاً، أليس كذلك؟».

بخفة جعل نك الخاتم ينزلق من إصبع بايبر، ورفعه إلى عينيه ليتفحصه. ثم قرأ ما هو محفور عليه بصوت عالٍ: «إلى جان للأبد».

ضغط دان على خصر بايبر كأنه يقول لها حظاً موفقاً، قبل أن يعود إلى مكتبه. وحالما سمعت الباب يقفل، قال نك: «إنه ضعيف أمام توائم كينغستون. أشعر بالشفقة عليه».

تجمّدت بايبر، وقالت: «كان ذلك تصرفاً قاسياً».

- ليس أقسى من تصرفك وأنت تطلبين من مساعدتك أن تستغني عن خاتمها لأنك المديرة. لاحظته في يدها حين استقبلتني.

شدّ قبضته حول الخاتم، ووضعه في جيبه.

كان يجدر بها أن تعلم أن عينيه الحادتين سوف تكشفان كذبتها. نك لا يفوته أي شيء. علّقت قائلة: «تليق بك مهنة العميل سري».

- هذا بالتحديد ما أردت أن أقوله عنك. أنا مقتنع أكثر من أي وقت مضى أنك الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدتي.

أطلقت بايبر حينها ضحكة غاضبة، قالت: «أراهن أن كاميلا ليست لديها فكرة أنك قمت بهذه الرحلة إلى كينغستون كي تعبث مع التوأم العزباء الأخيرة لعائلة داتشس».

- ستعرف كاميلا وعائلتها عاجلاً.

وقع كلماته المبهمة بدا لسمع بايبر كوقع الكتل الجليدية.

- ماذا يعني ذلك؟

- أريد مساعدتك في أمر هام.

- قلت ذلك من قبل.

- سأقدم لك ما يستحق طلبي.

- إذا كنت تتكلم عن الناحية المالية، فانسَ الموضوع. أعرف أنك وابني عمك رشوتم السيد توزيتي بهدف إغواء أوليفيا لتعود إلى أوروبا مجدداً، لكن ذلك النوع من الخدع ينجح مرة واحدة لاغير. باشرنا أنا ودان العمل في مؤسستنا التجارية الخاصة بنا.

اقترب نك من بايبر أكثر، ما جعل من الصعب عليها أن تتحرك أو تتنفس، وقال: «فكرت بأمر أكثر تشويقاً مثل... إنجاب طفل».

- طفل...!

- نعم شقيقتاكِ تنتظران طفليهما في المستقبل القريب. لِمَ لا تكونين أنت كذلك أيضاً...

طرفت بايبر بعينيها بدهشة كبيرة، محاولة أن تفهم ما قاله.

- إذا كنت تشير إلى أنني على علاقة مع دان، فأنت مخطئ تماماً! أولاً، لا أحد منا مهتم بالآخر بهذه الطريقة. يجب ألا نقوم بذلك كرمى لغريس. ثانياً، إذا كنت أنتظر مولوداً من دان، فأنا لا أريد مالك على أي حال. أستطيع أن أتدبر أموري بنفسي.

صاغت شفتا نك الجذابتين ابتسامة، وقال: «تأكدت الآن من طبيعة علاقتك بجاردين. أفكر في أن أكون أنا والد الطفل».

لا يمكن أن تكون بايبر قد سمعت ما يقوله نك بالضبط. ردّت قائلة: «لِمَ تظن أنني أود أن أنجب طفلاً ما؟».

- لأنني كنت في مكتب لوك عندما اتصلت أوليفيا لتزف إليك أخبارها، وصادف أن كان مكبّر الصوت مفتوحاً.

تسارعت دقات قلب بايبر وهي تحاول أن تتذكر كلماتها، فيما أردف نك: «في اللحظة التي أخبرتك أختك، انهمرت الدموع من عينيك فرحاً لها، ثم قلتِ لها إنك تعتقدين أنها المرأة الأكثر حظاً في العالم كله».

دافعت بايبر عن نفسها بأقوى نبرة صوت استطاعت أن تتلفظ بها: «بالطبع، قلت ذلك! أوليفيا محظوظة لوقوعها في حب رجل أحبها وأراد أن يتزوجها. هذه هي الطريقة الوحيدة التي أتمنى أن أنجب عبرها ولداً. ينبغي أن تعرف أن توائم داتشس لا يقمن بعلاقات عابرة».

أمال نك رأسه ذا الشعر الداكن، وردّ قائلاً: «في أحد الأيام، دعوتني إلى أخذ قيلولة بجانبك على العشب».

أظهرت بايبر له ابتسامة تدل على سخف كلامه، وعلقت: «ذلك أمر مختلف. أنا لم أنوِ إقامة علاقة معك بالطريقة التي تظنها. كنت أمزح معك فحسب، لأنني لم أصدق أنك في فترة حداد حقيقية».

سيطرت عليها مشاعرها، فاندفعت تقول: «بما أن الهدف الوحيد لذهابي إلى أوروبا كان أن يتقدم لي أحد الرجال العابثين من منطقة

الريفييرا ثم أرفض طلبه، فقد قررت أن أرى إذا كنت قادرة على مصادقة أحدكم لمجرد التحدي المطلق ليس إلاّ، لكن يبدو أنني أسأت تقدير حبك لخطيبتك المتوفاة».

هزّت بايبر كتفيها، ثم أردفت: «بأي حال لم يعد الأمر هاماً فقد تغيّر الوضع الآن تماماً».

غطت وجه نك الجميل ظلال داكنة، وقال: «لا! ليس بالتحديد. كان حدسك صحيحاً في المرة الأولى. لم أحب نينا روبلز قط».

لا تستطيع بايبر التأكد من ذلك، إلا أن نك بدا كأنه يقول الحقيقة.

سخرت منه قائلة: «هل وضعت الطوق لسنة كاملة تكفيراً عن ذنبك؟».

أجاب نك بدهشة: «نعم».

التمعت على شفتيها ابتسامة ساحرة، وأردفت: «آه! أفهم...».

ثم أكملت: «لأنك ولدت في عائلة ملكية، أُجبرت على الخطوبة من دون حب. مسكين نيكولاس! لكن لأكون عادلة، لا أعتقد أن معظم الارتباطات الملكية هي عبارة عن انسجام وحب حقيقي».

أجاب نك بنبرة لطيفة: «إن بعضها كذلك. في حالتي كان الوضع معقداً لأن عائلتي وعائلة روبلز ليستا على علاقة وثيقة، لكنهما أصبحتا قريبتين كثيراً مع السنوات، وكان زواجي من نينا متوقعاً. وفاتها المفاجئة عقدت الأمور، لأن السيد روبلز يتوقع مني أن أتزوج كاميلا وفقاً لقانون قديم».

- يبدو الأمر متزمتاً بالنسبة إلي.

همهم نك قائلا: «هذا لأنه كذلك. أبي يعتمد أيضاً على تلك الناحية كثيراً».

- إذاً، ألا تعجبك كاميلا؟

- لا. إنني مغرم بفتاة أخرى، لكنني لا أستطيع أن أفعل شيئاً

حيال الموضوع لأنها ليست مغرمة بي.

لابد أن يكون اهتمام نك بفتاة أخرى هو السرّ الأعمق لعائلة بارما بوربون، وإلاّ لسمعت أختاها عن الموضوع. هذا الاعتراف الخطير جعل بايبر تعود إلى طاولة مكتبها. جلست قبل أن يسبب لها الألم الانهيار أمامه. إنه بعيد المنال أكثر مما ظنت.

بصوت خال من العواطف، قالت بايبر: «لِمَ أنت هنا حقاً، نك؟».

- انتهت فترة الحداد الرسمية منذ ثلاثة أيام. ولكي أتجنب أي خطط فاشلة وسيئة قد تقوم بها العائلتان، أود أن أعود إلى ماربيلا مع زوجة لي.

- زوجة...! هاه...؟! لا أظن أن لديك أي مشكلة. لابد أن هناك عشرات الفتيات من العائلات الملكية مؤهلات للزواج بك.

- لا تطابق واحدة منهن الصفات التي أحبها. أنتِ المرأة الوحيدة التي أستطيع أن أتزوجها، وعائلتي لن تكون قادرة على إظهار غضبها علناً، أو أن تطلب مني أن أتخلى عنها.

صاحت بايبر ووجهها يلتهب احمراراً: «الآن أختيّ متزوجتان من ابني عمك؟ أتعني أنني ربحت الجائزة لأنه ليس من بديل؟».

- التقى والداي بك ووجداك جذابة. هما يعرفان تاريخ عائلة داتشس، ويدركان جيداً أننا أمضينا وقتا معاً خلال مناسبتين وذلك أثناء فترة الحداد.

في هذه اللحظة أصيبت بايبر بكرب شديد. نهضت على قدميها مجدداً، لكن كان عليها أن تتمسك بحافة الطاولة كي تستند إليها. قالت: «بالنسبة إلى حديثك عن الطفل... أنت لا تقترح أن نتظاهر بأننا كنا نتواعد خفية، والآن أنا حامل...».

قاطعها نك قائلاً: «لن نضطر إلى التظاهر إذا ما تزوجنا، وقضينا شهر عسل في طريق عودتنا إلى إسبانيا. بعد ذلك، يمكننا أن نخبر

العائلة أنه من المحتمل أننا ننتظر مولوداً. وهذا سيجعل زواجنا واقعاً لا مفرّ منه».

هزّت بايبر رأسها إلى اليسار واليمين. وردّت: « غير ممكن... الخدمة التي تطلبها مني مستحيلة. ناهيك عن حقيقة أنك لا تعجبني، فأنت مغرم بفتاة أخرى!».

- هل لذلك أهمية؟

إجابته الباردة تركت بايبر متجمدة تماماً. أجابته: «من الواضح أن الأمر لا يهمك، لكنه يهمني. نحن لا نحب بعضنا، لذا لن ينجح الأمر. بالإضافة إلى ذلك، أحب عالمي كما هو. بدأت للتو بتوسيع عملي، وأنا متشوقة لأرى إلى أين سيصل بي. لا شيء أكثر سخفاً من أن نتجول كزوج وزوجة في اتحاد يخلو من الحب، لمجرّد أنك تريد أن تقوم بعمل سخيف لتتنصّل من زواجك من كاميلا، ولأنني أنا الفتاة الأقرب المتوفرة التي تحقق لك مآربك».

بعد فترة من الهدوء غير المريح، قال نك: « أفهم كيف تشعرين. أقدم لك اعتذاري عمّا طلبته. إنه تصرف أناني من قبلي، كما أن الأمر قد يكون خطيراً. لن أزعجك أبداً بعد اليوم».

لم تعد بايبر تحتمل أكثر، إذ بدا من المستحيل تجاهل كلماته المقلقة تلك. ركضت نحوه، وأسندت ظهرها إلى الباب كي تمنعه من الرحيل، ثم قالت: «لا يمكنك أن تلقي قنبلة كهذه وتخرج من هنا فيما أترنح أنا كضحية للصدمة العقلية».

حاولت أن تستعيد أنفاسها، واعتقدت أنها رأت ابتسامة رضى بسيطة على شفتي نك. لطالما كان يجدها مرحة، لذا ينبغي أن تكون معتادة على تلك النظرات الفظيعة المتعجرفة التي رمقها بها. وضعت يديها على وركيها، وواجهته قائلة: «أعرف أن هناك سبباً آخر يجعلك تقطع هذه المسافة لتراني. وضّح لي كلمة خطير. على من يقع الخطر؟».

- على كلينا. لكن من الطبيعي أن أوفر لك الحماية. لن يصيبك أي مكروه.

سألته بتعجب: «الحماية؟».

أجاب نك بوقار وهو يحيط عينيها بنظرته البنية الداكنة: «أطمئنك إلى أنك إذا وافقت على أن تصبحي زوجتي، فسوف تساعدين العائلة كلها. وبعد فترة سوف تلمسين الشعور بالامتنان من قبل عائلة بارما بوربون الملكية».

لفظت بايبر الكلمات من فمها: «لا أريد امتنان أحد».

إنها تريد حب نك فقط، لكن ذلك بدا مستحيلاً!

- سامحيني لأنني أخذت من وقتك الثمين، سينيوريتا بايبر.

أرجع نك كتفيه إلى الوراء، وأردف: «سأخرج».

عندما صار بالقرب من بايبر وهمّ بفتح الباب، تلامست ذراعاهما، ما أثار تياراً كهربائياً في جسدها بأكمله.

حذرته «احرص على إعادة الخاتم لجان قبل مغادرة المبنى».

توقف نك لبرهة في المدخل وهو ينظر إلى بايبر من خلال جفنين مثقلين، وقال: «بالطبع!».

شعرت بايبر بوخزات في عينيها خلف جفنيها. نظرت إلى الباب الذي أقفله نك وهو خارج. كيف يجرؤ على اكتساح مكتبها، متوقعاً منها أن تُخدع بتحركاته المعتادة على إصدار الأوامر، والمصحوبة بحيله الفريدة التي تميز عائلة باسترانا؟ لكنه بالطبع لن يؤثر عليها! التفتت بايبر فجأة وأقحمت رأسها إلى داخل مكتب دان. نظر هذا الأخير إلى الأعلى نحوها. وقال: «شيء ما يُنبئني أنني على وشك أن أخسر شريكتي في العمل. مثلما قلت سابقاً، جينات عائلة فارانو هي قاتلة لتوائم عائلة دانتس».

- أنت مخطئ يا دان. لقد رحل إلى الأبد. أتيت إلى هنا لأعتذر منك لأنني وضعتك في موقف لا يمكن الدفاع عنه. إذا كنت لا

تمانع، فأنا أفضل العمل خلال فترة الغداء.

بعد أن أقفلت بايبر الباب المشترك، توجهت إلى طاولة تنفيذ التصاميم. العودة للعمل هي بمثابة الدواء الذي جنّبها الشعور بالألم.

بعد خمس وأربعين دقيقة ظهرت جان. قالت: «أنا ذاهبة مع لتناول الغداء مع جيم الآن».

نهضت بايبر عن كرسيها، ومشت قُدماً نحو الطاولة التي تحتفظ عليها بحقيبتها. بعد أن تناولت منها عشرين دولاراً، أعطتها لمساعدتها قائلة: «تناولي الغداء على حسابي. هذه إحدى طرقي لأعبر لكِ عن شكري لأنك سمحت لي باستعارة خاتمك».

- لا ضرورة لذلك.

لم تقم جان بأي حركة لتأخذ النقود، بل أردفت: «أنا سعيدة بأنني ساعدتك».

وبعد تردد بسيط منها، أضافت: «هل ساعدك ذلك؟».

- لن يزعجني مرة أخرى، ولن يكون علي أن أقلق بشأن هذا الأمر.

- لا بد أنك المرأة الوحيدة في العالم التي لا تود أن يزعجها.

- نعم... حسناً! لا تتشوّقي كثيراً. خلف تلك البنية الإسبانية الفاتنة يقبع ذهن منافق وماكر. تعرفين أنه نصف إيطالي. لم تثق به غريس عندما ذهبنا على متن البيتسيوني في شهر حزيران الماضي. أكره أن أعترف بذلك، إلا أن إحساسها بشأن طبيعته الدونجوانية المتعددة الألسن كانت صحيحة.

- متعددة الألسن؟

- نعم. حسب علمي هو ينطق بستّ لغات رومنسية بطلاقة. هو يملك مصرف إيبريا الإسباني البرتغالي، وهو عالم لا يستهان به في اللغتين اللاتينية والعربية، ناهيك عن أنه ألّف كتباً عديدة موجّهة إلى فئة معينة من القراء، تدور مواضيعها حول حق الابن البكر في الإرث وشعارات النبالة.

- لم أعرف من قبل أن رجل مثله موجود على وجه الأرض.

- آه! نعم، فهو غريب الأطوار في إبداعاته.

- ما الذي فعله ليجعلك مهتاجة غيظاً؟

- طلب مني أن أتزوجه.

صاحت جان مجدداً: «أنت تمزحين!».

وأردفت: «أنت محظوظة...».

- قبل أن تتحمسي كثيراً، دعيني أشرح لكِ. هو مغرم بامرأة لا تحبّه. أراهن على أنها امرأة تحمل لقباً من ألقاب النبالة، ولا تستطيع أن تتخلص من زواجها. على أي حال عليه أن يجد زوجة بسرعة، كي لا يضطر إلى الزواج من أخت خطيبته المتوفاة. انتهى لتوه من فترة حداد رسمية امتدت لسنة كاملة.

- أتعنين أن الناس لا يزالون يقومون بهذه الأشياء؟

- من الواضح أن عائلة باسترانا تفعل. والآن، أصبح دون جوان طليقاً مجدداً. وبما أنه جاء إلى نيويورك للعمل، اختار التوأم الأخيرة لعائلة داتشس لتخلصه من ورطته. آه...! واسمعي هذا أيضاً...

أطلقت بايبر ضحكة غاضبة، وأكملت: «قال إن الأمر قد يكون خطيراً».

- ربما لا ينبغي أن تضحكي. ماذا لو كانت أخت خطيبته المتوفاة من النوع الحسود؟ ربما تكون هذه الأخت متملّكة جداً، وستحاول أن تقتلع عينيك من مكانهما.

- حسناً! لن تخطو قدماه هنا مجدداً، لذا فالأمر لا يهمنا. اذهبي وتمتعي بغدائك!

- شكراً. هل أجلب لكِ شيئاً تأكلينه؟

- كلا. شكراً، لست جائعة.

توقعت بايبر من جان أن تغادر، إلا أنها ظلت تحوم في مكانها. فسألتها بايبر: «ما الأمر؟».

موضوع دون جوان أقفل، فماذا هناك بعد؟

- هل يمكنني استعادة خاتمي؟ أخشى أن يراني جيم بدونه.

شعرت بايبر أن الدم يسيل خارج وجهها. رويداً رويداً وقفت على رجليها مترنحة، وقالت: «إنه... إنه ليس معي».

ظهر الذهول على جان، فيما أردفت بايبر: «إنه مع نك. ماذا قال لكِ عند خروجه؟».

- شكرني على مساعدتي، ثم غادر.

- هل ذكر لكِ إلى أين هو ذاهب؟

- لا!

تمعنت مساعدة بايبر بها لبرهة. وعلّقت قائلة: «أظن أن حقيقة أنك خذلته لم تعجبه».

قالت بايبر من خلال أسنانها: «سأستعيد خاتمك. أقسم بذلك».

ثم انتزعت حقيبتها، وأردفت: «قبل أن تغادري لتناول الغداء، هلاّ تقولين لدان إنني ذهبت إلى المنزل لتناول الطعام؟ حين أعود إلى المكتب سيكون خاتمك بحوزتي».

اندفعت بايبر إلى الخارج كي تشغل محرك السيارة.

«بالطبع» هذا ما قاله نك حين طلبت منه أن يعيد خاتم جان، لكن بالطبع، المكر والنفاق صفتان إضافيتان على لائحة مساوئه.

ركن نك سيارته بقرب منزل بايبر الواقع في الطابق الأرضي. لم تكن لديه أدنى فكرة عن طول فترة انتظاره. التوت زاويتا فمه بابتسامة شيطانية. الأمر برمته يعتمد على الوقت الذي تطلب فيه جان استعادة خاتمها. فجأة، رأى السيارة التي تقودها بايبر من خلال المرآة الخلفية لسيارته المستأجرة. هذا جيد! أرادها أن تبتعد عن المكتب قبل أن يصوب ضربته القاضية.

ركنت بايبر السيارة وراءه تماماً، وترجّلت منها. من خلال المرآة

الجانبية، راقبها نك تتوجّه إليه.

على غرار أبناء عمه الذين عاشوا محاطين بنساء من منطقة البحر المتوسط ذوات شعر أسود وعيون سوداء، نك يفتتن أيضاً بالاشعاع الذهبي الذي يصدر من توائم عائلة داتشس. إنه يحب الطريقة التي يتموج بها شعرها حول وجهها وحتى في غياب أشعة الشمس، فإن لشعرها سحراً لا يقاوم. أحب نك تلك الفتاة بالتحديد من بين أخواتها، بقامتها النحيلة وعينيها المتلألئتين كالجواهر.

حين ظهرت بايبر على متن السفينة في شهر حزيران الماضي، استطاع أن ينظر إليها فحسب، لكنه لم يستطع أن يلمسها. تطلب ذلك منه كل ذرّة من السيطرة على نفسه. والآن بعد أن أزال نك طوق الحداد، شعر بالوهن وبالحاجة الشديدة لأن يضمها إليه ويحبها.

دنت منه بايبر ودقت على نافذة السائق من دون تردد. ضغط نك على الزر كي ينزله.

فاحت منها رائحة زهور خفيفة جالت حول نك. ومثل الجمرة التي تشتعل ناراً من دون سابق إنذار، اشعلت فيه رائحة بايبر ذلك التوق الأولي للرجل. بدا ذلك الفم الفاتن في أشد حالات التوتر، لكنه مع ذلك لم يبدُ أقل جمالاً بنظر نك.

- ليس من حقك أن تأخذ خاتم جان معك وترحل.

- هذا صحيح. لذلك أعطيته لشريكك في العمل كي يعيده إليها، لكنني طلبت منه أن ينتظر حتى تغادري المكتب.

ومضت عيناها بلون ساطع، فيما بدت بايبر مستعدة لخطوتها التالية، فإما تعود إلى سيارتها وإما أن تحبس نفسها في شقتها. ترجّل نك من مقعد السائق، ولحق بها. قادته حاجة ماسّة إلى الإمساك بكتفيها وضمّها إلى صدره.

المرة الأخرى الوحيدة التي تقاربا خلالها إلى هذا الحد كانت في إحدى أمسيات شهر حزيران الماضي، حين قام هو وابنا عمه

باختطاف الفتيات أثناء محاولتهن الهروب على الدرّاجات. أجبرت حينها بايبر على الجلوس قرب نك على المقعد الخلفي للسيارة. فيما كانت الدراجات قابعة على سطح السيارة، تكوّم الأشخاص الستة داخل السيارة لمدة نصف ساعة من حدود الريف قرب جنوا حتى المرفأ. يومها مرت ثلاثون دقيقة وهو يستشعر جسدها الناعم الدافئ بقربه. بدا ذلك بمثابة ألم وصراع يساويان حصيلة آلام العمر كله، لأنه لم يكن قادراً حتى على معانقتها.

بدت بايبر الآن مسيطرة على نفسها، إلا أن نك شعر بها ترتجف. ولأن الطقس بارد جداً، لم يستطع التأكد إن كان هناك سبب آخر لحالتها هذه.

- أرجوك، اتركني! الناس يراقبوننا.

- دعيهم يفعلون. ثمة الكثير بعد لأقوله لك، لكننا بحاجة إلى خصوصية لا يمكن لمكتبك توفيرها لنا. لديك خياران: إما أن نتكلم في شقتك أو في جناحي في فندق كينغستون.

صاحت بايبر قائلة: «ليس في الفندق...».

- حسناً! دعينا إذاً نذهب إلى منزلك.

أمرتها غريزتها أن تواجه نك في منزلها. وبما أنه لطالما أراد أن يرى المكان الذي تعيش فيه، فلم يبدُ أقل ابتهاجاً. فتحت بايبر القفل، وقالت: «لدي بعض الدقائق فقط قبل أن ألتحق بالمكتب بغية لقاء دان في اجتماع هام».

- تم إلغاؤه. أوضحت له أنك لن تعودي اليوم مطلقاً.

قبل أن تتمكن بايبر من إغلاق الباب بعنف في وجهه، حشر نك نفسه بحركة سريعة داخل غرفة الجلوس الحميمة. توقف تماماً بالقرب من لوحة زيتية كبيرة، لابد أنها صورة والدي بايبر. منذ زمن طويل، احتفظ نك بنماذج من الروزنامات التي صممتها بايبر في مكتبته في ماربيلا. حين كان يشعر أنه يريدها بشغف، كان يخرج تلك

الروزنامات من الدرج، ويتمعن بأعمالها الفنية الرائعة.

حين نظر إلى الرسم على الحائط، أدرك أنها رسامة لوحات ماهرة أيضاً. إنه شيء مثير للدهشة أن يتفحص الوجهين الجذابين للزوجين اللذين أنجبا توائم عائلة داتشس إلى العالم. تنحّى نك جانباً، وقال: «من الغرابة كيف أن بعض الأزواج المغرمين يتشابهون مع مرّ السنوات. أستطيع أن أرى الكثير من صفاتهما فيك».

وقفت بايبر بالقرب من طاولة القهوة وذراعاها ملتفتان كمعلمة محبوبة تنتظر تلاميذها في صف الروضة كي ينتظموا أكثر.

- إنه لأمر مبتذل أن تتم ملاحقتي من قبل أحد أبناء عائلة فارانو مجدداً. حسناً! تمكنت من الإيقاع بي، فلنحل المسألة. لماذا أتيت؟ وما الذي تريده بالفعل؟ المراوغة هي كل ما بدا من الموضوع حتى الآن.

لم يستطع نك إخفاء ابتسامته فيما استدار ليواجهها. أجاب قائلاً: «أنت محقة. بقيت أحوم حولك حتى أوصلتك إلى حيث أريد».

في الواقع، لم تكن بايبر حيث يريدها نك بالضبط، لكن أن تتواجد معه وحدها في هذه الشقة هو بمثابة معجزة كبيرة في الوقت الحاضر.

- بعض المعلومات التي جُمعت في نيويورك عن سرقة المجوهرات كشفت النقاب عن اكتشاف جديد مذهل.

علقت بايبر بنبرة صوت مملّة: «و...؟».

سمعها نك تطرق الأرض بقدمها طرقاً خفيفاً، منتظرة أن ينتهي من حديثه حتى تطرده من منزلها. حسناً! في جعبته أخبار لها...

- تبيّن أن الحادث الذي قتل خطيبتي في كورتينا لم يكن مجرد حادث وقع صدفة. لدي دلائل قاطعة تشير إلى أن القاتل كان يستهدفنا نحن الاثنين، لكن شاءت الأقدار في ذلك المساء، أن يكون لوك في تلك الحافلة بدلاً مني.

٣ ـ جاسوسة!

حاولت جاهدة ألاّ تنظر إلى نك خوفاً من أن يرى التوق الشديد في عينيها. لكن ما سمعته لتوها جعل رأسها المنحني يرتفع عالياً، فصارا يحدّقان ببعضهما.

همست بشك: «أتعني أن نينا قد... اغتيلت؟».

جاءها جواب نك المروع: «نعم، بالإضافة إلى غيرها من الضحايا الأبرياء».

من دون أن تدرك بايبر، ألقت يدها فوق حنجرتها، وسألته: «كيف عرفت ذلك؟».

- قامت كاميرات المراقبة في المنطقة، حيث تستلم شركة كريستي بضائعها بالتقاط صورة للمهرّب الذي سلّم المشط المرصع بالجواهر، وحالما اطلع موظفو وكالة الاستخبارات المركزية على الفيلم المصور لاحظه أحد وكلاء الإنتربول الذي كان في صدد ضبط عصبة مجرمين متخصصين بسرقة الأعمال الفنية. إنه دانماركي في منتصف العشرينيات، شعره أشقر غامق، ويتخفّى تحت أسماء مستعارة عديدة. «لارس» هو أحد الأسماء التي يتخفى تحتها. هذا هو الرجل.

تمعّنت بايبر بنسخ الصور الست التي تناولها نك من جيبه. ذكرها ذاك النوع الاسكندنافي الأشقر الجذاب بالرجال الذين يمضون أوقاتهم في التمرين في النوادي الرياضية.

أكمل نك قائلاً: «منذ بضعة أشهر، سُرقت بعض رسومات مونيه

من بين مجموعة في فرنسا في عملية سرقة مسلحة وجريئة أودت بحياة شخصين. اتضح أن لارس هذا كان أحد الرؤوس المدبرة التي أظهرها الشريط. بالرغم من أن الشرطة ألقت القبض على شخصين، لكنه تمكن من الهرب، وهو حرّ طليق منذ ذلك الوقت».

همست بايبر: «هذا مروع!».

- أرسلت إلى ابني عمي هذه الصورة لأطلعهما على التطورات الجديدة في القضية. في اللحظة التي رأى فيها لوك صورة الرجل، أكد أنه الشخص الذي رآه يعانق نينا بشغف في اليوم الذي قُتلت فيه.

انتشلت بايبر عينيها من الصور لتحدّق بنك بعدم تصديق. سألته: «هل خانتك خطيبتك مع مجرم مسلح؟».

استرجع نك الصور منها، ووضعها في جيبه، ثم أجاب: «يبدو الأمر كذلك، بالرغم من أنني لم أعرف في ذلك الوقت أي شيء عن الموضوع. كان مقصدي من الذهاب مع نينا للتزلج في نهاية الأسبوع أن أصرح لها عن رغبتي في فسخ خطوبتنا».

صدمة بعد صدمة...!

- فسخ الخطوبة؟ لا أفهم. ظننت أن خطوبتكما كانت ملزمة.

- هذا ما كان من المفترض أن تكون عليه، لكن مع اقتراب موعد زفافنا أدركتُ أنني لا أستطيع أن أستمر معها.

مع كل لفظة خرجت من فم نك، راح فكر بايبر يضطرب أكثر. سألته مجدداً: «إذا كان هذا شعورك، فلماذا تقدّمت لخطبتها في بادئ الأمر؟».

- منذ أن كنت صغيراً جمعت عائلتينا علاقات وطيدة، وحين بلغت الثالثة والثلاثين، لم أكن قد وجدت شريكة عمري بعد، فيما كانت هي امرأة جذابة جداً ومؤهلة للزواج بي. نظراً لمدى رغبة أبي والسيد روبلز بأن تتم المصاهرة بين العائلتين، أذعنت لهذا الضغط، وأصبحت خطيبها. اعتقدت أنه لن تكون هنالك مفاجآت في زواجنا

على الأقل.

أضاف نك: «لسوء الحظ، مع اقتراب موعد الزفاف، أدركت أنني كنت أكذب على نفسي، إذ إن الاتحاد بين شخصين بغياب الشغف بدا لي مستحيلاً. عندما توصلت إلى قراري، فكرت أن أذهب مع نينا في رحلة للتزلج إلى كوتينا حيث نستطيع فسخ خطوبتنا، ومناقشة الموضوع بعمق. بعد بضع جولات من التزلج، تركنا ماكس ولوك على المنحدرات الثلجية، وعدنا إلى الشاليه حيث عبّرت لها من مشاعري أخيراً. توقعت أن أرى دموعها وكربها، لكنها قالت إنها تريد أن تبقى بمفردها كي تفكر، وأسرعت بالخروج من الشاليه».

أكمل نك قائلاً: «بعد قليل رآها لوك تجتمع بذلك الرجل. تبعهما وشهد على عناقهما. وبعد أن افترقا، وقفت نينا في الصف تنتظر الترام. وبدلاً من أن يقوم لوك بانتظار ماكس، الذي قصد مخزن أدوات التزلج لدقيقة فقط، لحق بها كي يواجهها. بعد ساعة من الوقت، اتصل بي ماكس على هاتفي الخلوي ليُعلمني بوقوع حادث مروّع على الترام استهدف مجموعة من المتزلجين، من بينهم نينا ولوك».

غير معقول! القصة بأكملها غير معقولة. علّقت بايبر قائلة: «أنا... أنا لا أعرف ماذا أقول. هذا شنيع للغاية».

- من الطبيعي أن أشعر بالألم لموتها بالقدر الذي كنت سأشعر به تجاه أي صديق حميم لي، لكنني لم أكن مغرماً بها. في ضوء ما عرفت من معلومات في نيويورك في هذه الرحلة، سلّط تأكيد لوك على هوية الرجل المدعو لارس ضوءاً جديداً على القضية.

شعرت بايبر بالبرد.

- من المنطقي إذاً ألاّ تتمكن الشرطة من التأكيد على أن الترام كان يعاني من قصور ميكانيكي. بعد مناقشة الأمر مع لوك وماكس، نعتقد أنه قد يكون لنينا دور في عملية السرقة تلك.

- أنت تمزح!

مجدداً ذهلت بايبر لما قاله نك، فثمة الكثير لتستوعبه.

- بتاتاً. زارت عائلة روبلز قصر كولورنو قبل أن نعلن أنا ونينا خطوبتنا رسمياً. أتذكر جيداً مدى إعجابها بالمجموعة، لكنني لم أعلق أي أهمية على الموضوع.

أردف نك: «إذا ما كانت نينا متورطة، أفترض أنها شعرت بالتوتر بسبب اشتراكها في الجريمة، وربما تشاجرت مع حبيبها، فقرّر أن يقتلها قبل زواجنا، فلا تستطيع أن تفشي سره بعد ذلك. لهذا السبب أراد أن يتخلص مني في الوقت نفسه».

تأوهت بايبر بصوت عال، فلم يكن في وسع نك إلا أن يسمعها.

أكمل نك: «وبما أن رحلة التزلج كانت مخططة مسبقاً قبل أسابيع عديدة، كان لديه متسع من الوقت كي يخطط لقتلنا. لكن في اللحظات الأخيرة، أخذ الوضع مساراً آخر لم يتوقعه أحد، وكاد لوك يفقد رجله في الحادثة».

الحمد لله إنه تعافى أخيراً، ويستطيع أن يحيا حياة طبيعية مجدداً. هو متزوج من أختها الآن، وسيصبح أباً عما قريب.

- ماذا لو كانت نينا بريئة؟

ظلّلت وجه نك تعابير متجهمة، وقال: «إذا لم تكن نينا قد ساعدت لارس في سرقة المجموعة، ولم تعرف أنها مغرمة بمجرم، فهذه حتى مأساة أسوأ. بعد أن تكلمت مع ابني عمي نحن نتساءل إذا كان أبوها قد استخدم وفاة ابنته ليجبرني على الزواج من كاميلا».

تنهدت بايبر، وقالت: «أنت لا تصدّق هذا، أليس كذلك؟».

نظر نك إلى بايبر بوقار، وأجاب: «لطالما شعر السيد وربلز بالحسد تجاه أبي بالرغم من صداقتهما الوطيدة، وهذا ليس أمراً جديداً. إذا ما قرأت الأحداث التاريخية التي تجمع بين العائلتين منذ مئات السنين، سوف تكتشفين أموراً أكثر خطورة وشراً».

همست بايبر قائلة: «أطنان من المكر والنفاق».

- بالضبط. لدى السيد روبلز مقادير كبيرة منها، وإلاّ لما اقترح فترة حداد رسمية على مسمع أبي. أظنها طريقة واضحة كي لا أفكر بالارتباط إلى أن أصبح حراً لأتزوج ابنته الأخرى.

كانت بايبر تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، لكنها توقفت وقالت: «من الجيد أن لوك أخبرك بما رآه. لابد أنك ارتحت لمعرفتك أن نينا كانت على علاقة بشخص آخر».

تمتم قائلاً: «لا يمكنك تصور مدى ارتياحي. معرفتي بذلك اقتلعت الذنب الذي كنت أشعر به. لكن... أنا من دعاها إلى رحلة التزلج في بادئ الأمر. بعد وفاتها شعرت بالندم الشديد، ولذلك السبب فحسب وافقت على الالتزام بفترة حداد رسمية».

بالرغم من الألم الذي سبّبه لها نك، شعرت بايبر باحترام يفوق إرادتها تجاهه. قالت: «لو لم يقل لوك شيئاً، إذاً...».

قاطعها نك قائلاً: «لكنت لا أزال في صراع مع تلك العواطف المدمّرة. بعد أن أخبر لوك ماكس عن حبيب نينا، وجدا من الضروري أن أعرف الحقيقة، فهكذا لن يستطيع السيد روبلز أو حتى أبي التلاعب بي أكثر».

- هل يتوقع أبوك منك أن تتزوج كاميلا؟

- على الأرجح نعم، لكنه لا يزال حزيناً على وفاة نينا التي أحبها كابنته تماماً. لذلك أردت أن أعود إلى ماربيلا مع زوجة مخلصة. هذا لن يضع نهاية لتوقعات أبي فحسب بل سوف يرسل رسالة واضحة إلى عائلة روبلز وهي أنني أعتبر أن واجبي تجاههم انتهى رسمياً.

أمال نك رأسه، وأردف: «هذه هي الظروف التي تنتظرك، إذا وافقت أن تكوني عروسي. كما أشار لوك وماكس، أنتِ هي المرأة المثالية لتقوم بذلك».

شعرت بايبر كأن قلبها يسقط حتى قدميها. سألته: «أهذه

فكرتهما؟».

- هي فكرة جيدة. بعد أن رأيت الدور المقنع الذي أديته مع دان منذ فترة وجيزة، لم تعد لديّ شكوك بأنك ستقومين بدورك بإتقان. أدرك أنك لم تلتقي بكاميلا بعد، لكن لا تقلقي. سوف تكونين أكثر من منافسة لها، فطبيعتها نارية أيضاً.

- أيضاً؟

أطلقت عينا بايبر شرارات خضراء تميل إلى الزرقة. وعلّقت قائلة: «أيفترض بذلك أن يعتبر مديحاً أم إدانة؟».

جالت نظرة نك على ملامح بايبر بتروٍّ، وأجاب: «إنه مديح بالطبع. كبرياء كاميلا سوف ينجرح، وستحاول أن تفتش عن نقطة ضعف في شخصيتك. لكنها لن تنجح. سوف تقومين بدور المضيفة للكثير من لقاءات العمل واللقاءات الاجتماعية التي سوف تضم عائلة روبلز. وبلطفك وسحرك، سوف تحاولين أن تكسبي صداقة كاميلا. سيكون من الطبيعي بالنسبة إليكِ أن تكسبي صداقتها. اطلبي منها أن تساعدك في الأمور التي تحب النساء أن تفعلها، كالتسوّق مثلاً في أجمل المتاجر».

انتفضت بايبر قائلة: «أكره التسوّق...».

ثم أردفت: «... يأخذ الكثير من وقتي المخصص للرسم. أنا أقصد المتاجر حين أضطر إلى ذلك!».

لكنه أكمل: «كلما انسجمت مع كاميلا وأصدقائها، ولاحظت ما يجري في أسرة روبلز، كان ذلك أفضل. أريدك أن تكسبي ودّها. إذا كانت كاميلا تعرف أي معلومات عن الحياة العاطفية السرية لأختها، فسوف تكونين أنتِ مصدر معلوماتي. أنا أعتمد على ثقة كاميلا بك. هي تعرف عن لارس وعن مكان إقامته، وعن المكان الذي كانا يلتقيان فيه. سوف يسر كاميلا أن تخبرك أشياء كهذه كي تجرحك وتؤلمني لأنني أعارضها. قد تحصلين على تفاصيل تساعدنا على

تحديد ما إذا كانت نينا متورطة في السرقة أم لا».

سألته بايبر مستفسرة: «بكلمات أخرى، هل تريد زوجة جاسوسة؟».

- هذا صحيح. قد لا نجد شيئاً يتعلق بالجريمة، لكن مهمتي ستصبح أكثر سهولة إذا عدت إلى المنزل مع زوجة.

سألته بايبر: «وما هي مهمتك؟».

- فيما تجري مطاردة القاتل، سوف نركز أنا وابني عمي وقت فراغنا على المساعدة في التحقيق.

- هذا عمل الشرطة!

اشتدت ملامح نك، وأجاب: «بعد ما حدث للوس، ولصالح عائلتنا، لدينا سبب وجيه يدفعنا إلى القبض على هذا المجرم بالذات، وعلى الشخص الذي يعطيه الأوامر».

- إذاً، أنت لا تظن أنه يعمل بمفرده؟

- كلا، لابد أن يكون هناك عقل مدبر. لارس هو واحد من بين الكثيرين الذين يقومون بالأعمال غير الشريفة.

ارتجفت بايبر لصراحة نك، وقالت: «أنا لست الشخص الملائم لتلك المهمة».

- ظننت أن أفراد عائلة داتشس لا يخافون شيئاً.

تجمّدت بايبر، ثم أجابت: «لست خائفة، لكن فاتك أن تلاحظ أنني لا أتكلم الإسبانية ولا أفهمها أيضاً، فكيف لي أن أكون جاسوسة؟».

- هذه ليست مشكلة. سأعلّمك مع الوقت. ستلتقطين اللغة بسرعة. بالإضافة إلى ذلك وكما تقولون أنتم الأميركيون، الأفعال تعبّر أكثر من الكلمات.

كلما تكلم أكثر، كلما شعرت بايبر أنها تنصاع إلى رغباته. أكمل نك: «ما إن يتم القبض على المجرمين حتى نلغي زواجنا. عندها

يمكنك العودة إلى نيويورك وإلى مهنتك. الأمر يعود إليك».

الأمر يعود إلي؟ سألته بايبر: «في هذه الحالة، لمَ علينا أن نتزوج؟».

أجاب نك بلطف: «لنبدو مقنعين أكثر بالطبع. تدركين أنه سوف يكون علينا أن نلعب دور المتزوجين حديثاً، فإذا كنا متزوجين فعلاً، لن نضطر إلى التظاهر بشيء. ينبغي ألاّ ندع أحداً يعرف بما يجري حقاً، حتى أختيك».

بعد موقف بايبر المتمثل بألاّ تسامح نك أبداً وبألاّ تخط قدمها الأرض الأوروبية، سوف تتهمها أختاها بالاستسلام.

أضاف نك: «على الجميع لا سيما عائلة روبلز - أن يصدقوا أننا على علاقة حب منذ زمن طويل، لكننا تزوجنا سراً لأننا لم نستطع أن ننتظر فترة الخطوبة الرسمية قبل الزواج».

شعرت بايبر أن قلبها سوف يقفز إلى خارج جسدها بسبب الألم المبرح الذي أصابها، كما جفّ فمها. سألته: «إذا رفضت عرضك هذا، من هي خيارك الثاني كزوجة لك؟».

- كونسويلا مانوز، وهي المحرّرة التي تعمل معي على كتابي الأخير.

ألم... بعد ألم... بعد ألم...!

كبتت بايبر تأوهاتها. هل هذه المحررة هي المرأة التي أحبها ولم يستطع الزواج بها؟ أتراه كان على علاقة خاصة بها خلال السنة الماضية؟

غمر الكرب قلب بايبر فقالت: «أخبرني شيئاً، نك. ما الذي قصدته حين ذكرت أمر الطفل في حديثك السابق؟».

- أنا أرغب في أن أحقق زواجاً فعلياً، ومن الطبيعي أن نبقى معاً إذا أنجبنا طفلاً. هذا سيوفر لي وريثاً، وسيبعث السرور إلى قلبي والديّ. يعتمد الأمر على ما تقررينه أنتِ. ولمعلوماتك فحسب، حين

كان علي مع ابني عمي الاختيار بينك وبين كونسويلا، جاء التصويت بالاجماع على أن توأم عائلة داتشس الواثقة من نفسها هي الخيار الأنسب.

بعد ما قاله نك، توجه نحو الباب، وقال: «أنا في الغرفة رقم ٢٢ في فندق كينغستون. أعطيتني جوابك مؤخراً في المكتب، لكن إذا غيرت رأيك، اتصلي بي في الفندق. سأغادر إلى إسبانيا غداً صباحاً».

بعد أن غادر نك منزلها بفترة طويلة، كانت بايبر ما تزال تشعر بالحيرة. كل ما عرض عليها مقابل مساعدتها هو العيش معه إذا أرادت ذلك. كل شيء بدا آسراً... الزواج، واحتمال إنجاب طفل... لكن ليس حبّه.

بعد ساعة من الوقت، وبعد أن جفت دموع بايبر، اتصلت بدان. لكن في اللحظة التي سمعت فيها صوته، انهارت مجدداً.

- هل تريدين التكلم عن الموضوع؟

- آه، دان...! لا أعرف ماذا أفعل.

مجرد التفكير أن نك قد يطلب من محررته أن تتزوج به يقتلها. تعرف بايبر أن نك ألّف عدداً من الكتب. ربما كانت تلك المحررة تتظاهر بأنها لا تحبه، لأنها عرفت أنه في فترة الحداد. ماذا لو أنها انتظرت طيلة هذا الوقت حتى ينزع طوق الحداد الأسود لتعبر له عن مشاعرها؟ إذا كان ذلك صحيحاً...

- بايبر...!

أجابت بصوت ضعيف: «نعم؟».

- شيء ما ينبئني أنني على وشك خسارة شريكتي في العمل.

* * *

١ شباط؛ كينغستون، نيويورك.

- بايبر داتشس دي باسترانا. ليست لديك فكرة عن مدى سعادتي

لرؤيتك متزوجة أخيراً. لم تخلق المرأة لتقضي حياتها وحيدة.

حمل السيد كارلسون محامي عائلة داتشس كلتا يديها، فيما أظهر لها ابتسامة ساطعة ووقورة.

كانت غريس وأوليفيا لتقهقهان ضاحكتين لو رأتا الطريقة التي ينظر بها المحامي إليها. تابع قائلاً: «هل لي أن أكون أول من يهنئك وزوجك على بداية حياة جديدة معاً؟».

بادلته بايبر الابتسام، آملة أن تتمكن من السيطرة على مشاعرها إلى حين خروجها من هناك. قالت: «شكراً لأنك سمحتَ لنا أن نقيم المناسبة في مكتبك، سيد كارلسون. إنه لطف من قبلك».

أكد نك قائلاً: «نحن ممتنّان جداً لك».

منذ ذلك العناق الشغوف الذي تبادلاه في نهاية الحفلة، أبقى نك قبضة تملكية حول خاصرتها.

حين وافقت بايبر على الزواج به حتى يلقي القبض على القاتل، قالت له من دون تردد إنها لا تنوي إقامة أي علاقة معه. وإذا لم يستطع أن يتحمل ذلك، فهو حرّ في اللجوء إلى محرّرته التي أبقى علاقته معها سراً.

سمعته يقول للمحامي: «لاحقاً، سنقيم حفلة زفاف في كنيسة ماربيلا للعائلة أجمع».

آه لا! لن نفعل...

أضاف نك: «لكننا لا نستطيع الانتظار كل هذا الوقت لنتبادل النذور».

أظهر السيد كارلسون ابتسامة عريضة، ووقع نظره على خاتم الزفاف الذهبي البسيط الذي يزين إصبعها. لم يكن هذا الزفاف يطابق ذاك الذي حلمت به بايبر طوال حياتها، لذا رفضت أن تأخذ شيئاً من نك.

- يشرفني أن تعتمدي علي، بايبر. لا أشك في أن والديك كانا

ليباركان هذا الزواج، وكانا ليشعران بالسرور لأن حماماتهما الثلاث الغاليات انتقلن إلى بيوت ليدرنها ويهتممن بها.

اعتاد والد بايبر أن يطلق على بناته اسم الحمامات الغالية نسبة إلى الحمامة البيضاء الجميلة لعائلة داتشس التي كرمها الإيطاليون تكريماً لدوقة عائلة بارما. كادت بايبر تختنق من الضحك بسبب كلمات السيد كارلسون، لكنها نجحت تقريباً في السيطرة على نفسها. وأجابت: «أنا واثقة أنهما سعيدان بذلك».

- لابد أن والديك ملهمان ليبتكرا صندوق الزوج. لا تتصوري مدى امتناني لأن الشيكات التي أعطيتكن إياها في اليوم الذي اجتمعتن لتستمعن إلى رغبة الوالد، أدّت إلى لقائكن بأبناء عائلة فارانو.

ابتسم الرجل الكبير لزوج بايبر الجديد الذي بدا رائعاً ببذلته الحريرية الرسمية ذات اللون الأزرق الداكن، فيما بدت بايبر متألقة بالفستان الأبيض من نوع الشيفون الذي ارتدته إلى فيلا فالكون.

- كما قلت لغريس حين اتصلت بي من مطار جنوا في السنة الماضية، إن المرأة تحتاج إلى رجل ليكتمل عالمها.

بدا أن نك يحب ما يحصل. هزّ رأسه موافقاً بالرغم من أنه عرف أن ذاك الاتصال كان التماساً للمساعدة، كي تتمكن الفتيات من الإفلات منه ومن ابني عمه. فيما كانت بايبر لا تزال تبتسم ابتسامة سعادة وسلام للمحامي الذي هو صديق أبيها المخلص، خطر ببالها أحد شعارات غريس المطبوعة على روزناماتهن. لم تتمكن من مقاومة رغبتها في مضايقة نك، فقالت: «كما قلت لنك حين وافقت على الزواج به، إذا أردت أن تنجز عملاً ما، فاطلب ذلك من امرأة».

ربما لم يدرك السيد كارلسون المغزى الكامن خلف كلماتها، لكن نك فهم قصدها. نك يحتاج إلى سند يدعمه أثناء التحقيق بقضية القتل، لكن ما لم يعرفه هو أن الخوف هو الذي دفع بايبر إلى الموافقة على طلب الزواج أخيراً. خوفها من أن يكون نك وابني عمه هم

المستهدفين من قبل القاتل.

ماذا لو قرر القاتل أن أياً من أفراد عائلة فارانو يفي بالغرض لأنه يفترض أنهم يلاحقونه؟ هذا يعني أن أختي بايبر تحت الخطر أيضاً. بايبر مستعدة لأن تقوم بأي شيء لمساعدة الأشخاص الذين تحبّهم، حتى لو اضطرت إلى مصادقة كاميلا كي تلقي القبض على لارس. أما فكرة الحياة من دون أبناء عائلة فارانو... من دون نك... لم تستطع بايبر تخيل ذلك. ليس الآن.

بعد أن اتصلت بايبر بنك إلى الفندق الذي ينزل فيه، وأعطته جوابها، عملا معاً خلال الأيام الثلاثة التالية. عليها أن تعترف أنه بفضل مجيئه إلى شقتها لمساعدتها، تم توضيب الأغراض بسرعة فائقة. أما اللحظة العاطفية بامتياز، فهي عندما طلبت بايبر منه أن يحمل رسومات زيتية كبيرة من غرفة التخزين الأرضية إلى غرفة الجلوس كي يتم نقلها بحذر. استغرق ذلك من نك وقتاً طويلاً، وحين دخلت بايبر غرفة التخزين وجدته واقفاً أمام تلك الرسومات يتأملها بعمق. اعتبرت بايبر صمته المطبق علامة مديح على أعمالها.

تلك الرسومات هي عبارة عن هدايا الزفاف التي حضرتها لأختيها. كانت بايبر تنتظر وصولهما إلى نيويورك حتى تتمكنا من انتقاء الإطارات المناسبة لها.

أظهرت إحدى اللوحات ماكس منحنياً باتجاه غريس على متن سفينة البتسيوني قبل أن تغطس الفتيات الثلاث منها بغية الهرب. ظهرت نظرة الشغف في عيني ماكس كما ظهرت الطريقة التي نظرت غريس بها إليه بعينيها الأرجوانيتين الرائعتين اللتين تذوبان حباً له. تمكنت بايبر من التقاط نظراتهما الخاصة على قماش من الكانفا، وهي نظرات مليئة بالشغف والشوق. أما في اللوحة الأخرى، فالتقطت بايبر لحظة سحرية بين لوك وأوليفيا خارج كنيسة عائلة باسترانا الخاصة قبل زواجهما، حيث كانا غافلين غير مدركين أن

أحداً يشاهدهما. كانت أوليفيا تنظر إلى وجه لوك المتيّم بالحب، وعيناها تتوهجان بلون أزرق جذاب باهر. حفظت بايبر الفنانة نظرة الشغف بينهما، ونفّذتها على قماش من الكانفا في وقت لاحق.

- إن الحمّالين ينتظرون توضيب هذه اللوحات، نك.

أتى صوته عميقاً أجش: «رسوماتك رائعة! سوف يتأثر ابنا عمي كثيراً بها».

بدأت بايبر بدفع الرسم الأقرب نحو ممر الباب المفتوح، وقالت: «سيظنان على الأرجح أن اللوحات كبيرة جداً».

تجاهلت بايبر مديح نك كي تخفي الارتجاف في صوتها. اعترض نك سبيلها، وحمل اللوحة إلى الغرفة الأمامية قبل أن ينتقل إلى اللوحة الأخرى. بعدئذٍ أشرف على عملية توضيب الأغراض قبل أن يتم نقلها إلى الطائرة، الأمر الذي منح بايبر الوقت لتقوم بالزيارة الأخيرة إلى أعلى الدّرج كي ترى مالكة الشقة. أعطتها بايبر المفاتيح ثم عانقتها، مدركة أن لا شيء يضمن لها أن تجد هذه الشقة متوفرة حين تعود إلى نيويورك في وقت لاحق.

عندما انطلقا في طريقهما إلى المطار في سيارة نك المستأجرة، نظرت بايبر إلى الخلف باتجاه بيتها بعينين دامعتين. وبعيني مخيّلتها الذهنية رأت والديها يقفان على الشرفة في الخارج. عاشت هناك طوال السنوات الست والعشرين الأولى من حياتها، ولطالما كانت عائلتها ترفل بالسعادة. لكن تلك الأيام ولّت. أختاها هما امرأتان متزوّجتان، وهي على وشك الزواج أيضاً، لكن مع فارق شاسع... تزوج نك بها كي تساعده على تحقيق مبتغاه وعلى التجسّس لصالحه. لن تحظى بليلة زفاف حقيقية، وحين تنتهي أي منفعة لذلك الزواج، سوف يتم إلغاؤه.

بعد أن رافقها نك على متن الطائرة واطمأن على راحتها، اعتذر منها بذريعة التكلم مع الربان. تناول هاتفه الخليوي، ونقر أحد

الأرقام. سرعان ما سمع صوتاً مألوفاً من الجهة الأخرى، يقول: «آه، صديقي! هل أتكلم مع رجل متزوج الآن؟».

أحنى نك رأسه، وأجاب: «نعم، لكنها لا تكف عن الاعتراض».

- ما دامت تضع خاتمك في إصبعها، لا شيء يهم.

هذا ما ظلّ نك يقوله لنفسه حتى قضى ليلة زفاف معذّبة. تنعمت بايبر بنوم آمن في الغرفة الأخرى، فيما ظل مزاجه مضطرباً. قال: «لوس... هل أنت وحدك؟»

- نعم. أين أنت؟

- في المطار. هل كل شيء على ما يرام؟

- بالطبع. حين تصل إلى الفيلا، ستكون العائلة مجتمعة.

- ما الحجة التي استقريت عليها أخيراً؟

- يصادف عيد ميلاد ماكس الأسبوع القادم. قررنا أنه السبب الأفضل لاجتماع العائلة كلها، فاقترحت على أمي أن نقيم حفلة كبيرة له هذه الليلة، لأنني سأحضر مؤتمراً يختص بصناعة الرجال الآليين في يوم عيد ميلاده. قلتُ لها إنك ستحاول العودة من نيويورك في الوقت المحدد للحفلة. أسرعت أوليفيا وغريس لمساعدتها، إلاّ أن أحداً لم يعلم أن بايبر ستطل معك من الباب.

- عظيم! هديّتنا لماكس سوف تكون بمثابة صدمة قوية.

- آه! أحقاً؟

- نعم.

لدى بايبر هدية للوك أيضاً، هدية سوف تزعزع كيانه حالما يراها.

- عملنا أنا وماكس على توفير درجة عالية من الأمن. ستتم مراقبتكما حالما تطأ أقدامكما أرض نيس.

أخذ نك نفساً عميقاً، وعلّق قائلاً: «وعدت بايبر أنها لن تتعرّض لأي أذى. أقسم بالله! إن حصل لها أي مكروه...».

ردّ لوك بقوة: «لن يحدث شيئاً. لن ندع أي خطب يحدث لأي

منا. بالمناسبة، لن نتمكن من إقامة حفلة كهذه في أي وقت قريب».

- لماذا؟

- في حديث جرى بين أمي وأمك، قالت أمك إن أباك سعيد جداً لأن فترة الحداد انتهت، وهو متحمس لأن يجد ابنه الوحيد حباً جديداً، وهو يخطط لأن يجلس معك ويتحدث إليك حديث الأب لابنه حالما تعود من نيويورك.

تصلب فكا نك، وقال: «لقد اخترت شريكة حياتي، والليلة بالذات ستأخذ دوراً سوف يخدع الجميع، حتى أختيها. تعتقد بايبر أنهما في خطر مميت، وأنها قادمة لإنقاذهما.

- هذا ينجح في كل الأوقات.

- أراك هذا المساء، لوك.

- إلى اللقاء.

أقفل نك الخط، وعاد إلى حجرة الطائرة كي يربط الحزام حوله، إذ إن الربان كان جاهزاً للاقلاع.

بدا صوت المحرّكات موسيقى لأذنيه. اعتمد نك على حب بايبر للمغامرة كي تقبل بما عرضه عليها، حتى لو كان في ذلك مخاطرة. حتى الآن، لم تخب ظنونه مطلقاً.

جلست عروس نك الجديدة بالقرب منه، وهي تبدو في مزاج مثالي. تصرفت بايبر بذكاء حين أبقت مشاعرها مخفية عنه، لأن غرائزه البدائية كانت تهدد بالسيطرة عليه.

٤ ــ صدمة وإعجاب

أخذت السيارة السوداء المريحة الفخمة التي تحمل شعار الصقر تصعد الطريق الممتد عبر التل حتى رأت بايبر فيلاً لوك في موناكو. على غرار تلك الليلة قبل حدث الجائزة الكبرى في شهر حزيران الماضي، كانت الفيلا البروفانسية الجميلة التي يعود بناؤها إلى القرن التاسع عشر "كلو دي فالكون" تسطع بوهج جذاب.

لكن الليلة حملت العديد من الفروقات. لم تر بايبر عدد المراكب نفسه الذي كان في المرفأ المشهور، وقد ذكرها نسيم شهر شباط البارد بأن فصل الشتاء ما زال مقيماً.

بالطبع، هناك فارق شاسع. منذ الصيف الماضي تزوجت التوائم الثلاث لعائلة داتشس من أبناء العم في عائلة فارانو، واليوم نك يتوقع من بايبر أن تتصرف كعروس مثالية. قد يكون هذا مستحيلاً، لأن ألمها ازداد ثلاثة أضعاف بعد قضاء ليلة زفافها وحيدة في غرفة في الفندق محاذية لغرفة نك. أما المؤاساة الوحيدة التي دفعتها إلى التحمّل فهي حقيقة أن كونسويلا مانور ليست هي التي تضع خاتم الزفاف الذهبي.

بعد فترة وجيزة، سينتقل خبر زفاف بايبر إلى أفراد العائلة المجتمعين داخل الفيلا، وسيتحوّل كل إحساس بالفرح إلى إحساس بالصدمة والدهشة والألم، بل حتى إلى إحساس بالبغض من جانب سيّد عائلة باسترانا، حمي بايبر الجديد.

حضّرها نك جيداً للعب دورها. قال لها: «وظيفتك أيتها السينيورا هي أن تبتسمي بسعادة فيما أتكلم».

افترضت بايبر أنها تستطيع أن تقوم بما طلب منها حتى ذلك الحد، أما الصعوبة فهي ألا تدع أختيها تلاحظان ما هو خفي خلف ابتسامتها.

أحضر نك لها بذلة حريرية جديدة عاجية اللون مرصعة بأزرار اللؤلؤ كهدية زفافهما. بدا شعر بايبر أطول مما كان عليه في الصيف الماضي، فاختارت أن تتركه منسدلاً من جانب واحد.

- قبل أن ندخل، أحمل لك هدية زفاف أخرى. أعطيني يدك.

مال رأس بايبر نحو الرجل الذي يرتدي بذلة توكسيدو سوداء رائعة في مؤخرة سيارة الليموزين. لم يتلامس جسداهما قط، لكن بايبر شعرت بتلك الهالة الرجولية المسكرة، فيما تنشقت أريج الأزهار الذي يفوح منه. بقلب يتمزق، مدّت يدها اليمنى نحوه.

قال نك بصوت ناعم عميق حرّك عواطفها: «يدك الأخرى».

- لدي محبس ذهبي.

- أنت عروس عائلة باسترانا الملكية وعائلة بارما بوربون الآن.

اختطف يدها اليسرى من حضنها.

- هذه اللؤلؤة المسمّاة دمعة القمر هي إرث ينتقل عبر الأجيال. لا أحد يستحق أن يضعها إلا عروس إنكليزية ذات شعر ذهبي مغزول.

كلماته هذه جعلتها عاجزة عن الكلام، وحين أخفضت بايبر نظرها نحو اللؤلؤة البيضاء المستديرة الضخمة، والمخرّمة بالذهب، التي استقرت بجانب المحبس الذهبي، حبست أنفاسها.

استغل نك حالتها المشدوهة تلك، فرفع يدها نحو شفتيه وقبل كفها.

شعرت بايبر بالارتجاف بسبب ملامسته لها، فأزاحت يدها بعيداً، وقالت: «أنا... أنا لا أستطيع أن أضع هذا».

تجهمت تعابير وجهه، وأجاب: «إذا لم تفعلي، لن يقتنع أهلي بأن

زواجنا حقيقي».

صاحت بايبر بقلق: «لكن هذه مسؤولية كبيرة. ماذا لو أضعتها؟».

- ماذا لو فعلت؟

- نك! لا تتظاهر باللامبالاة. هذه اللؤلؤة لا تقدّر بثمن وهي ذات قيمة تاريخية. أخشى حدوث أي مكروه لها. هل نسيت أن السبب الوحيد لاجتماعنا معاً هو مسألة مجموعة الدوقة المسروقة؟

جاء جواب نك البريء: «لم أنسَ شيئاً».

ما لبثت أن أردف: «لا تنظري الآن، لكن تم الاعلان عن وصولنا، وها هما أختاك تتبعان ابني عمي إلى الباب الأمامي. اقتربي مني، حبيبتي».

ضاعت شهقة الدهشة التي كادت تفلت منها، فيما انحنى نك نحوها ليعانقها. عانقها بشغف كما تمنّت أن يفعل دوماً... عانقها كأنها أهم شخص في عالمه.

نك...! أحست بايبر بغصة في قلبها، لعلمها أنه فعل ذلك للتظاهر فحسب. كيف يمكنه أن يعانقها بمثل ذاك الشغف المطلق فيما هو مغرم بأخرى؟ منذ اللحظة التي قالت فيها بايبر "أقبل" غدت كل أفعاله وتصرّفاته وتعليقاته جزءاً من دور يلعبه. شعرت بايبر كأن خاتم اللؤلؤ يسخر منها، لكنها ترسخت الآن في تلك الخدعة، وفات الأوان على التراجع. وافقت على مساعدة نك في التحقيق لأجله ولأجل عائلته ولأجل أختيها الحبيبتين. صحيح أنه تم توظيف رجال أمن كي تتجنب العائلة وقوع حادثة قتل أخرى، لكن عمل بايبر يقتضي أن تندس في عائلة روبلز، وترى إن كان بإمكانها أن تعلم شيئاً عن القضية.

قام أحدهم بفتح الباب من جهتها في سيارة الليموزين قبل أن ينتهي عناقهما، كما لو أنهما قصدا أن يتم ضبطهما متلبسين وهما يتعانقان بشغف، فلا تستطيع أختاها أن تسيئا فهم ما حدث.

- بايبر!

همس نك في شعر بايبر من غير توقع: «سأدعك الآن».

ثم أفلتها لتتلقى صيحات أختيها المتحمستين اللتين راحتا تشدانها إلى خارج السيارة.

مضت اللحظات القليلة التالية وهن يقفزن ويتعانقن ودموع الفرح تملأ عيونهن. مضى الكثير من الوقت منذ رأتهما لآخر مرة...

انتفضت أوليفيا قائلة: «أنت تضعين زهوراً صفراء».

وقالت غريس: «دعينا نرى يدك اليسرى».

مدّت بايبر لهما يدها كي تنعما النظر إليها. لهثت الأختان لرؤيتهما حجم اللؤلؤة وجمالها. سألتها غريس: «متى تزوجتما؟».

ابتلعت بايبر ريقها بصعوبة، وأجابت: «نهار أمس».

همهمت غريس محاولة أن تفهم ما سمعته لتوها: «نهار أمس الأول من شهر شباط».

صاحت أوليفيا: «أين؟».

- في مكتب السيد كارلسون.

التوت شفتا أوليفيا إلى الأعلى، وقالت: «لابد أنك تمزحين».

- لا! لن تصدّقي كم بدا الأمر مرحاً.

طيلة الدقائق القليلة التالية، بقيت بايبر تمتعهما بالتفاصيل حتى أخذتا تقهقهان من الضحك، ما وفّر لبايبر تغطية ممتازة كي تخفي الحقيقة المروّعة بأن زوجها ليس مغرماً بها. تمعنت بوجهي أختيها المألوفين الغاليين على قلبها إلى حد لا يوصف، ثم قالت: «من منكما ستحظى بطفلها أولاً؟».

لسعتها نظرة غريس اللاذعة حين ردّت قائلة: «لا تقولي إنك أنتِ من ستفعل!».

ابتسمي، بايبر! أظهري ابتسامتك كي لا تكتشف غريس وجود خطب ما.

- على الأقل نعرف أن طفلي سيكون الأخير، أما السؤال فهو من منكما تتوقع الحصول على طفلها قبل الأخرى، أنتِ أم أوليفيا؟

ظلت غريس تنظر إلى بايبر، ما جعل بايبر تضطرب أكثر، ثم قالت: «ظننتُ أنك لن تسامحي نك مهما فعل».

كررت أوليفيا بصوت رزين: «وأنا أيضاً».

ثم أضافت: «كما أتذكر، قلتِ إنه عدوك اللدود. عليك أن تعترفي أن زواجك منه في اليوم الأول من حريته بعد فترة الحداد يبدو غريباً بعض الشيء، إلاّ إذا كنتما تتواعدان خفية».

أرادت بايبر أن تقول شيئاً ليزيل أي شكوك تتمحور حول زواجها من نك. نقلت نظراتها من أخت إلى أخرى، وقالت: «أريد أن أعترف لكما بشيء».

سألتا في الوقت عينه: «ما هو؟».

- قصدت محللاً نفسياً في شهر آب الماضي، وقد ساعدني على تصويب مشاعري نحو الجهة الصحيحة.

عبست غريس وعلّقت: «منذ متى تحتاج توائم عائلة داتشس إلى طبيب نفساني؟».

أجابت بايبر بصوت خفيض: «حين تبقى توأم واحدة بمفردها».

ثم أضافت: «بمساعدة الطبيب أرنافيتس، أدركت أنني أصب مقداراً كبيراً من غضبي على نك. في الواقع، كنت أعاني من فقدانكما».

سخرت أوليفيا قائلة: «لم تفقدينا!».

- بلى! هذا ما حصل، وبدا ذلك مروّعاً. حين عرفت أخيراً مصدر ألمي المبرح، أدركت أنني كنت أعاقب نك لأنه عارضني، إلاّ أن ذاك العقاب لم يتناسب مع ما اقترفه. السبب الوحيد الذي دعاه إلى رفضي هو التزامه بفترة حداده وعزمه على احترامها. حين تمكنت من التفكير بالموضوع بعقلانية، أدركتُ أنه رجل نبيل، وهذه ميزة

لطالما قدّرتها في أبي.

ما إن ذكر اسم أبيهن، حتى غشيت الدموع أعينهن.

أكملت بايبر: «نصحني الطبيب أرنافيتس أن أتمتع بالصبر. قال لي إذا كانت المشاعر بين نك وبيني صادقة، فسوف يقوم نك بفعل شيء بعد إنتهاء فترة حداده».

راحت الأكاذيب تنساب على شفتيها بسهولة مخيفة. أضافت: «عملت بنصيحته، وبدأت أعمل على مشاريع أخرى. وها أنتما تريان ما حصل في اليوم التالي لانتهاء فترة حداده، سافر نك إلى نيويورك كي يراني».

توقفت بايبر عن الكلام قليلاً لتترك بعض التأثير في أختيها فحسب، ثم أكملت: «وهذا... ما كنت أصلّي لحصوله».

قالت بايبر كلماتها الأخيرة بنبرة خفيضة جداً، حتى لا يتمكن الرجال الواقفون في الجانب الآخر من السيارة من سماعها فيكتشفون أنها مغرمة بنك حقاً. مهما كان ما ظنته أختاها بها، فقد بدت الرعشة في صوت بايبر حقيقية تماماً.

أوقفتهما غريس في وسط البهو الذي وصلت إليه بايبر مسبقاً، وقالت: «أفراد العائلة مجتمعون في قاعة الاستقبال. تعرفين أن هذا الخبر سوف يشكل صدمة كبيرة لوالد نك».

هزت بايبر رأسها بالإيجاب.

همست أوليفيا: «الحمد لله إن عائلة روبلز لم تُدعَ إلى هذه الحفلة».

- طلب مني نك أن أكسب صداقة كاميلا وعائلتها بعد أن نغادر إلى ماربيلا.

رفعت الأختان حواجبهما وقالتا: «حظاً موفقاً!».

فجأة شعرت بايبر أنها دُفعت بعيداً عن أختيها باتجاه ذراعي ماكس الذي قال: «أهلاً بك إلى العائلة، أيتها الجميلة! لم تدخلي الفرح العارم إلى قلب ابن عمنا فحسب، بل أنقذت زواجين آخرين أيضاً».

قاطعه لوك موافقاً، قبل أن يعانق بايبر مرحباً بها: «ماكس على حق».

ثم أكمل: «بوجودك هنا مجدداً، لربما تحوّل زوجتانا انتباههما إلى عائلتيهما أخيراً».

رمقته بايبر بنظرة تنم عن الانزعاج، ثم سخرت منه كي تخفي انزعاجها القوي، فقالت ممازحة: «لابد أن أختي كرستا لكما بعض الانتباه، فأنتما تنتظران مولودين بالرغم من كل شيء».

في ومضة عين، انزلقت يدان قويتان إلى كتفي بايبر من خلفها، وراحتا تدلكاهما بإصرار.

- أنا متحمس جداً لأتلقى نوع الاهتمام نفسه منك لاحقاً.

همهم نك بهذه الكلمات بصوت عالٍ بما يكفي بالقرب من بايبر متعمداً أن يسمعه الجميع، ثم سألها: «هل يمكننا أن ندخل إلى قاعة الاستقبال الآن، ونحيي حفلة عيد ميلاد ماكس؟».

- يشرفني أن أقوم بواجب استقبالكما أيها العروسان!

وضع لوك ذراعاً حول كتفي زوجته، وفتح الأبواب المؤدية إلى الغرفة الأخرى. تبعهما ماكس وغريس، بينما عمل نك على مرافقة بايبر خلفهم، فيما هيّأت هذه الأخيرة نفسها للبلوى التي تنتظرها.

لمحت بايبر من البهو ثلاث مجموعات من الأهل في أبهى حلة، بالإضافة إلى أخت ماكس وزوجها، وهم يجلسون في الغرفة المفروشة بأثاث فخم. كانوا يتحادثون ويستمتعون بالأطعمة والمشروبات. الشخص الوحيد الغائب عن هذا الاجتماع هو سيزار، أخ لوك. نك أخبر بايبر أنه يتمرن للمشاركة في المنافسة للحصول على الجائزة الكبرى البريطانية.

- أعطوني انتباهكم من فضلكم!

حين تكلم لوك، اتجهت كل الأنظار إليه. قال: «تمكن نك من الوصول إلى الحفلة في الوقت المناسب، لكنه لم يأتِ وحده، فقد

انتقى عروساً أثناء رحلته إلى نيويورك».

الصمت الجلي الذي خيّم بعد تصريح لوك لم يزعج بايبر أكثر مما فعلت هيئة الصدمة التي بدت على وجه سيد عائلة باسترانا. بدت تعابيره الأرستقراطية جامدة كحجر الغرانيت، والتمع في عينيه الداكنتين الكثير من المشاعر: ألم، دهشة، غضب... يا لها من لحظة مقلقة، لن تنساها بايبر طوال حياتها!

والدة نك الإيطالية هي أول من نهض عن المقعد المزدوج. قطعت المرأة الغرفة كي تعانق بايبر، وتبعها الآخرون.

- أخيراً منّ نك علينا بزوجة. لا أصدّق ذلك! أهلاً بك إلى العائلة.

أظهرت عيناها البنيتان الحنونتان عاطفة حقيقية.

- أحببت ابنك منذ وقت طويل جداً، سينيورا باسترانا.

- نادِني ماريا!

وضع نك ذراعاً حول كتفي بايبر، فأذاب دفؤه عظامها. قال: «وقعنا في حب بعضنا على متن البتسيوني، ماما».

- أستطيع أن أرى ذلك، وإلا لما كانت تضع لؤلؤة العائلة. هل أخبرك نك قصتها؟

طرفت بايبر بعينيها، وأجابت: «ما أعرفه هو أنها إرث تتوارثه العائلة منذ أجيال، وأنا خائفة من إضاعتها».

تعليق بايبر جعل كل من حولها يضحك ضحكاً خافتاً. على الفور شعرت بايبر بعاطفة جياشة وصادقة تحيط بها من قِبل الجميع، ما عدا والد نك الذي لم يكن قد رحب بها إلى العائلة بعد.

أصبحت بايبر أكثر قرباً منه الآن، فلاحظت احمراراً باهتاً يعلو خديه. إن رؤيتها وهي تضع خاتم الزواج حطم أحلام الرجل الكبير التي بناها لابنه الوحيد. شعرت بايبر بالأسف حياله.

أخبرها نك من قبل أن والده يعتبر نينا كابنته، وأنه أحبها كثيراً.

لذا فإن رؤية امرأة أخرى تحل مكانها لسعته في الصميم.

- تهاني، سينيورا باسترانا.

هزّ والد نك رأسه بجمود، لكن من الواضح أنه لم يتمكن من معانقتها.

نظراً إلى الظروف الراهنة، لم تتوقع بايبر منه أكثر من ذلك. لن يبدو صادقاً لو عانقها عناقاً أبوياً.

- شكراً لك، سينيور.

شعرت بايبر بكتلة جامدة عالقة في حنجرتها، لكنها أضافت: «لديك ابن رائع. سأفعل كل ما بوسعي كي أجعله سعيداً».

وضع نك ذراعاً متملكة حول خصرها، ثم شدّها باتجاهه في حركة حميمة، وقال: «حين وافقت بايبر على الزواج بي، جعلتني أسعد من أي وقت مضى، بابا».

بدا نك ممثلاً بارعاً، وأدركت بايبر أن كل من يسمعه سوف يصدقه.

سأله والده بصوت جاف: «متى تزوجتما؟».

- البارحة.

نظر الرجلان إلى بعضهما كمحاربين قديمين. حدد خطان فم أبيه على شكل هلالين، ما أعطاه مظهراً كئيباً. وأحست بايبر بثقل يضغط على قلبها وهي تراه يكافح.

- لم أستطع أن أنتظر أكثر كي أتزوج بها، لذا نظمنا المراسم في مكتب المحامي السيد كارلسون، وهو صديق مقرّب من والد بايبر. لكن بما أننا عدنا إلى الديار الآن، سنقيم مراسم الزفاف في كنيسة الولاية كي تشهد العائلة كلها على زواجنا.

ضغط نك يده على خصر بايبر إلى حد يكفي ليحذرها من معارضته.

هتفت أمه والفرح يلتمع مشرقاً في عينيها... فرح بدا صادقاً

جداً: «سنقيم حفلة في الحال نعلن فيها زواجكما».

علقت بايبر: «سوف يكون هذا رائعاً».

ثم أكدت والدة لوك: «كلنا سنساعدك».

- لن نقيم الاحتفال إلا حين تلتقيان بيينيتو وإينيز.

- خططتُ للقيام بذلك غداً مساء بعد أن نسافر. أنا وبايبر إلى ماربيلا، بابا.

هتفت والدة نك كي تزيل التوتر: «الكم هو مثير أن تنضم إلينا توأم أخرى من عائلة داتشس!».

وأضافت: «أليس من الغرابة أن يتزوج أبناؤنا الثلاثة بثلاث توائم؟».

هزّت والدة ماكس رأسها بالإيجاب، وعلّقت: «لابد من وجود تفسير علمي لظاهرة كهذه».

هزّت أوليفيا رأسها أيضاً موافقة، وقالت: «حين كنّا أصغر سناً قرأنا كل ما وصلت إليه أيدينا عن التوائم، وعرفنا أن ليس من الغرابة أن ينجذبوا إلى الأشخاص أنفسهم. يعود ذلك إلى تركيبة الجينات».

أكد نك، وهو يضم بايبر بشدة: «سواء كان السبب علمياً أم لا فقد أغرمنا بفتيات عائلة داتشس من كينغستون منذ النظرة الأولى».

ثم أضاف: «وأعرف أنني تغيرت منذ ذاك الوقت».

أثنى ابنا عمه على ملاحظته تلك. وفيما كانت بايبر لا تزال تنظر عالياً إليه باندهاش، لأنه بكلماته تلك بدا أنه يعني ما يقول، أخفض نك رأسه وعانقها أمام الجميع. مع أنه أبقى عناقه في حدود الاحتشام، مع ذلك ترنّحت بايبر في مكانها، وكان عليها أن تتشبث به كي لا تهوي.

حين رفع نك رأسه أخيراً، قال: «بما أننا نحتفل بعيد ميلاد ماكس، فلنقدم له هديته الآن. ليتظر الجميع هنا. سأعود على الفور».

لامس نك خد بايبر برفق بإصبعه قبل أن يغادر غرفة الاستقبال.

ترنحت بايبر في مشيتها حتى وصلت إلى الأريكة الأقرب. انضمت إليها أختاها فيما عاد بقية أفراد العائلة إلى أماكنهم. بعد بضع دقائق، ظهر نك مجدداً حاملاً معه إحدى اللوحات، ثم أدارها ليراها الجميع.

سمعت بايبر ماكس وهو يتمتم شيئاً غامضاً، وما لبث أن اختطف يد زوجته، ومشى الاثنان نحو اللوحة.

هتفت أختها بصوت ملؤه العاطفة، لم يبد مطلقاً من طبيعة غريس: «بايبر...!».

استدار ماكس ونظر إليها فيما بدت عيناه السوداوان لامعتين، وقال: «أنت عبقرية! سنحتفظ بها للأبد».

أعلن نك قائلاً: «أقف مشدوهاً أمام موهبة زوجتي».

وأضاف: «ثمة المزيد».

ترك نك ماكس يمسك باللوحة، وذهب إلى الردهة. سرعان ما عاد مع لوحة أخرى مطابقة للأولى في حجمها.

- بالرغم من أن عيد ميلادك بعد بضعة أشهر لوك، لكن بايبر وأنا أردنا أن تحصل على هديتك الآن.

حين عرض نك اللوحة ليراها الجميع، سمعت هتافات الاندهاش في غرفة الاستقبال. في هذه اللحظة راحت أوليفيا تبكي تأثراً بين ذراعي لوك. استدار لوك نحو بايبر وكرر قائلاً: «أنت عبقرية!».

بدا صوته أجش تماماً مثل صوت ماكس. ردت بايبر: «شكراً عزيزي».

تداخلت الأحاديث فيما اجتمع أفراد العائلة الآخرون حول عمل بايبر الفني. نهضت بايبر عن الأريكة واقتربت أكثر، ثم قالت: «قررت أن أدعكم أنتم تختارون الإطارات لأنني لم أعرف أين ستعلقونها».

ابتسم ماكس لزوجته. وقال: «أعرف تماماً أين سنعلّق لوحتنا».

همهم لوك قبل أن يعانق أوليفيا: «وأنا كذلك».

لم يوجه نك كلامه إلى أحد بالتحديد حين قال: «أشعر أنني مهمل».

وعلى الفور أسرعت أختا بايبر لتعانقاه.

لم تجرؤ بايبر على النظر إلى أختيها بعد ذلك. وبدا التوقيت مثالياً لوالدة لوك التي اختارت تلك اللحظة كي تعلن أن العشاء جاهز، فتوجه الجميع نحو غرفة الطعام.

حاولت بايبر ألا تنظر إلى والد نك أثناء تناول العشاء وبالرغم من أن ماكس أبقى جو المرح سائداً وهو يفتح هداياه، فإن بايبر شعرت بالارتياح حين انتهت الوجبة. تضاعف ارتياحها حين أعلن لوك أن ابني عمه مع زوجتيهما سينتقلون إلى فيلته الخاصة لقضاء الليلة. تمنى الحاضرون لبعضهم ليلة سعيدة، لكن في خضم ذلك، كل ما لاحظته بايبر هو هزة الرأس المقتضبة لسيد عائلة باسترانا باتجاههما قبل أن يرافقها نك إلى سيارة الليموزين.

حين وصلا إلى داخل السيارة، جذبها نك نحو ذراعيه وقبل مؤخرة عنقها. لمسة شفتيه على بشرة بايبر الحارة تركتها كتلة مرتجفة. عندما وصلا إلى فناء الفيلا، بالكاد استطاعت بايبر أن تمشي، فيما ساعدها نك لتخرج من السيارة.

كانت أوليفيا قد أرسلت إلى بايبر صوراً عن منزلها ولوك، لذا عرفت هذه الأخيرة كيف يبدو من الخارج والداخل. لكن الفيلا بدت في الواقع أكثر روعة مما بدت عليه في الصورة. إنها فيلا قرنفلية اللون مؤلفة من طابقين، تعلو نوافذهما مصاريع زرقاء اللون، كأنها تنادي بايبر بأعلى صوتها، وتطلب منها أن تخطّها على القماش. لكن ذلك يحتاج إلى يوم حار من شهر تموز كي تعطي اللوحة حقّها بالكامل. وخزها ألم في قلبها حين أدركت أنه مع حلول فصل الصيف، سوف تكون قد حققت مأربها من السفر إلى أوروبا، وسوف تعود إلى كينغستون مجدداً، لترجع وحيدة...

فيما تجمع الرجال في مكتب لوك، قادت أوليفيا بايبر وغريس إلى الأعلى كي تدلهما على الغرف التي سينامون فيها. كانت غرفة بايبر ونك في نهاية البهو وقد نقلت أمتعتهما إليها مسبقاً.

في اللحظة التي لمحت فيها بايبر السرير الملوكي، شعرت بالذعر وسارعت نحو إحدى النوافذ. قالت: «يا له من منظر رائع!».

- أنا لا أشبع من تأمله.

ساد صمت غريب بعد تعليق أوليفيا هذا، فيما حدّقت ببايبر، وأضافت: «بعد الألم الذي عانيتِ منه السنة الماضية، من كان ليتخيل أنك ستنامين في هذه الغرفة مع نك هذه الليلة».

أرادت بايبر أن تسيّر الحديث في اتجاه آخر قبل أن تضيف أوليفيا أي ملاحظات شخصية أخرى.

- تغلبت على الألم، ولا أريد التكلم عن الموضوع. هل أخبرتكما أن السيدة ويلاند ترسل قبلاتها إليكما؟ إنها تقول لكما كلما اشتقتما إلى كينغستون، فهي ترحب بكما في منزلها. إنها دعوة مفتوحة.

- حين يصل طفلنا، ويصبح في عمر يسمح له بالسفر، سوف نسافر أنا وماكس إلى نيويورك ونزورها. ما دمنا نتكلم عن الموضوع، هل يعرف توم أنك تزوجت؟

هزّت بايبر رأسها بالإيجاب قائلة: «أخبره دان، الشبان يواعدون فتيات أخريات الآن، لذا نحن بعيدات عن الملامة. ما دامت جان تدير المكتب، لا أشعر بالسوء إذا ما قمت بحصتي من العمل من هنا. أخطط لأن أعمل في الفيلا الخاصة بنك. قال إن ثمة متسع من المساحة في مكتبه لطاولة رسم التصاميم.

ارتفع حاجبا غريس، وسألتها: «الآن بعد أن أصبحت السينيورا باسترانا، هل سيتبقى لك الوقت للقيام بأعمال مماثلة؟».

في الواقع، قد تحظى بايبر بالكثير من الوقت فيما يلاحق نك وابنا

عمه القاتل. مجرد التفكير بالخطر الذي يحدق بهم، بعث موجات ارتجاف في أنحاء جسدها.

- سأرسم في المساء فيما يعمل نك على كتابه الأخير. أثناء النهار سأتلقى دروساً في اللغة الاسبانية. فكرت في أن أسأل كاميلا روبلز أن تكون معلمتي.

هزّت أوليفيا رأسها إلى اليمين واليسار. قالت: «لا تستطيعين القيام بذلك».

صرحت غريس: «أوليفيا على حق».

- نك واعٍ لهذه المسألة. طلب مني أن أكسب ودّها لأنه يريد أن يتجنّب العداوة، وأظن أن هذه هي الطريقة المثالية لأكسب صداقتها. أنتما الاثنتان تلقيتما دروساً في اللغتين الإيطالية والفرنسية، وسأفعل الشيء نفسه.

علقت غريس قائلة: «لكن معلمتي لم تكن ترغب بأن تمسح الأرض بي».

ثم أضافت: «أمضيت مع كاميلا فترة وجيزة فحسب، لكنني لاحظت أنها سريعة الغضب».

في الواقع قال نك لها الكلام نفسه. ردّت بايبر: «بما أنه طلب مني هذه الخدمة، عليّ بالمحاولة».

- كوني حذرة! يقول لوك إنها مغرمة به سراً منذ سنوات.

تحذير أوليفيا هذا جعل بايبر تشعر كما لو أن أحدهم يمشي فوق قبرها. لم تعرف أي من أختيها أن السرقة تحولت إلى عملية قتل، أو أن نك يتوقع مساعدة بايبر في حل القضية.

- من المهم بالنسبة لنك أن يبقي على علاقات وطيدة مع عائلة روبلز، لذا لابد من طريقة للتخفيف من طبعها الحاد.

غمغمت غريس: «لست واثقة من أن هذا ممكن. شكل نك جزءاً كبيراً من حياة عائلة روبلز لسنوات طويلة».

- أعرف، لذا عليّ أن أقوم بجهد أكبر كي ألين الأوضاع.

علّقت أوليفيا قائلة: «كانت أمي محقة بشأنك. لطالما كنت حمامة السلام بيننا».

وضعت غريس يداً على ذراع بايبر، وقالت: «نك محظوظ أكثر مما يعلم».

قاطع نك حديثهما بصوته العميق المرتج: «لكنني أعلم».

فيما عانقت غريس بايبر، قالت لها: «أظن أن زوجك يريدك لنفسه، لذا ستتمنى لكما الآن ليلة سعيدة».

سارعت أوليفيا لتعانقها أيضاً، وقالت: «غداً، سوف نتناول وجبة الفطور معاً قبل أن تغادرا إلى ماربيلا».

قامت الأختان بمعانقة نك أيضاً قبل مغادرتهما غرفة النوم. بعد أن أقفلتا الباب، راح قلب بايبر يقرع كالطبل لوجودها وحدها معه.

- بدا أداؤك الليلة مقنعاً للغاية، فلم ينسحب أبي من الحفلة.

عضت بايبر شفتها، وسألته: «هل توقعت منه أن يفعل؟».

- نعم.

أخذ جسدها بالارتجاف، فسألته مجدداً: «لماذا لم تقل هذا لي مسبقاً؟».

بعد فترة صمت قصيرة، أجاب نك: «خضت مغامرة مدروسة. لا يريد أبي أن يحبّك، لكنه لا يستطيع تجاهل حقيقة أنك تصرفت بنبالة كافية باختفائك تماماً من حياتي حتى انتهت فترة الحداد. بالإضافة إلى ذلك، أذهلت لوحاتك الجميع بمن فيهم أبي الذي يقدّر الموهبة الفنية الحقيقية. أعمالك تظهر أنك امرأة مليئة بالمفاجآت وغنية في الصميم. لمستُ إدراكه لهذه الصفات في عينيه».

تنشقت بايبر الهواء بقوة، وردّت: «شكراً لك على المديح، لكن جلّ ما رأيته هو رجلاً محبطاً، لأن ابنه الوحيد اختار المضي في مسار آخر. شعرت بالأسف العميق حياله، وأعتقد أن والديك تحملا

الصدمة برضا مذهل. الجميع فعلوا ذلك أيضاً.

أتى تعليق نك الجاف ليفاجئها: «كان يجب عليه أن يعانقك».

- لا. نك! أنت تطلب منه الكثير. يوماً ما، حين يلقى القبض على القاتل، يمكنك أن تخبر العائلة بكل شيء. في ذلك الوقت، سأكون قد غادرت، وهم سيسترجعون ابنهم. والآن، إذا كنتَ لا تمانع، أود أن أستحم قبل الخلود إلى النوم.

فتحت بايبر حقيبة ثيابها لتتناول ثوبها ورداء النوم. وفي طريقها إلى الحمام التابع للغرفة، قالت: «بما أنك لن تجد متسعاً لك على الأريكة، فسأنام أنا هناك الليلة».

وجد نك فراشاً إضافياً في الخزانة، وحوّل الأريكة إلى سرير واضعاً وسادة عليه. بعدئذٍ وضع عليه كرة محلاّة من الشوكولا بالحليب. هو مستعد لفعل أي شيء لإرضاء عروس قلبه.

الليلة نجحت بايبر في امتحانها الأول بنتائج أفضل مما توقع لها. لم يكن يمازحها حين قال لها إنه كان يتوقع من أبيه أن ينسحب من الفيلا. أما انفجاره من الصدمة على الفور أو ثورانه ومغادرته فهي ردات فعل محتملة أيضاً. لكنه لم يفعل أيّا منها، والسبب في ذلك هو أنه افتتن بالتوأم الأخيرة الساحرة غير المتوقعة من عائلة داتشس، كما دعا لوك أوليفيا ذات مرة. لا يستطيع المرء أن يدرك عن بعد النار المختبئة في طيات جمالهن الأشقر الهادئ، لكن قضاء تلك الأيام الأربعة معاً على سفينة بتسيوني برهنت أنّ بايبر وأختيها هن مزيج من الصفات العديدة الساحرة. في الواقع تغيّرت حياته وحياة ابني عمه منذ ذلك الوقت.

فيما كان نك مستغرقاً في التفكير، مرّت بايبر بجانبه بثوبها القرنفلي المصنوع من قماش المناشف ورائحة معجون الأسنان تفوح منها. تناولت كرة الحلوى.

- هـمم... أحب هذه الحلوى! شكراً.

- على الرحب والسعة.

- سأتركها حتى نهار غد. أكثر ما أحبه في الصباح هو قطعة من الشوكولا.

يجب على نك أن يتذكر ذلك. علق قائلاً: «البعض يعتبر هذا انصياعاً وراء الملذات».

- أعرف. كان أبي يقول إن ذاك هو الشق الفني فيّ.

ضحك نك في سره، وقال: «قبل أن نغادر إلى المطار، سأتصل بالسيد روبلز وأدعو العائلة إلى تناول العشاء غداً مساء مع عائلتنا».

- جيد. لدي خطة لأصادق كاميلا، وأنا متحمّسة لتنفيذها.

إذا وضعت فتاة من عائلة داتشس خطة ما، فلتكن السماء في عون من يقف في طريقها!

علق نك: «أتحرق شوقاً لأرى عروسي تفعل فعلها».

- أتحرق شوقاً لذلك أيضاً. حالما يصبح الوحوش الذين خططوا لحادثة الترام خلف القضبان، أستطيع أن أعود إلى حياتي الطبيعية مجدداً.

على الفور شعر نك كأن أحدهم يغرز في صدره السيف المعلّق على جدار غرفة الأسلحة في قصر الدوق.

- لن يحدث هذا قبل فترة من الزمن.

- أعرف. لكنني لا أستطيع الرهان على طبيعة دان الطيبة للأبد.

استلقت بايبر على الأريكة، وسحبت الأغطية فوق جسمها، ثم قالت: «ليلة سعيدة، نك. تقول أختاي إنني لا أشخر مطلقاً، لذا يمكنك النوم جيداً».

حلّت الكآبة على نك. ولولا ذكرى الطريقة المرضية التي بادلته بها بايبر العناق، لما تمكن من إطباق جفنيه مطلقاً.

في المرة المقبلة حين يعانقها، لن يدعها تفلت منه حتى يستشعر بكامل حواسه أنّها لا تتظاهر بمشاعرها.

٥ ــ ما هي إلاّ البداية

تتميز ماربيلا بمناخها الخاص الذي يجعل شتاءها معتدلاً ملياً بالأيام المشمسة أكثر من أي بقعة على القارة.

كانت الساعة الثالثة ظهراً حين استدارت الليموزين التي أتيا فيها من مطار مالاغا نحو المياه. من خلال أوراق الأشجار الكثيفة، رأت بايبر منزلها المؤقت الجديد. إنه عبارة عن فيلا فخمة متألقة ذات مزيج من الهندسة المعمارية الإسبانية والإسلامية. وسرت في عروقها رعشة من جرّاء ذاك المنظر الساحر.

ساعدها نك لتترجل من السيارة. استقبلهما زوجان جذابان هما باكيتا وجايم اللذان يعيشان هناك، وهما مسؤولان عن الموظفين. حين أخبرهما نك أن بايبر هي عروسه الجديدة، رحبا بها بلغة إنكليزية جيدة وبحرارة مدهشة، وتصرفا كما لو أنهما يشعران فعلاً بالسرور من أجله.

اهتم الزوجان بنقل الأمتعة، واستطاع نك أن يلاحظ الابتهاج الذي يغمر بايبر في هذا المحيط. اصطحبها في جولة سريعة على أقسام الفيلا التي بدت تحفة هندسية بحدّ ذاتها. قادها إلى الغرف الخالية من الجلبة، المفتوحة للهواء عبر الأروقة التي تحملها الأعمدة وممرات النسيم. أما المدخل فتزينه حديقة، وهناك شرفة خاصة بكل غرفة نوم، كلها مزدانة بالأزهار والأشجار.

شهقت بايبر بدهشة حين اكتشفت الدرج المكسو بالآجر المؤدي نزولاً إلى مسبح مستطيل، تصطف حوله أقواس تمتد على طول الفيلا. هذا الدرج يمتد ليلتقي بالشاطئ الرملي البعيد للبحر الأبيض المتوسط.

هذه المنطقة الجنوبية من إسبانيا هي جنّة حقيقية على الأرض، إلا أن قلة من الناس يتمتعون بحق الدخول إلى تلك المنطقة الرائعة المشابهة لمنطقة عائلة باسترانا، باستثناء أولئك الذين ولدوا في عائلات ذات امتياز ملكي كأبناء عائلة فارانو.

فيما كانت بايبر تقف مشدوهة أمام ذلك المشهد الذي خلا من رجال الأمن والخطر الداهم، ظهر نك من غرفة النوم الرئيسية مرتدياً سروال سباحة أبيض اللون. بدا مظهره فاتناً جذّاباً جداً، ما جعل بايبر تشيح بناظريها عنه.

- تعالي وانضمي إلي في المسبح. ما من وسيلة تريح الأعصاب أكثر، لا سيما بعد رحلة في الطائرة.

قالت بايبر بقلب متألم: «أظن أنني سأوضب أغراضي أولاً، ثم أستعد لملاقاة ضيوفنا».

- لن تصل عائلة روبلز قبل الساعة السابعة والنصف مساء. لديك الكثير من الوقت لنضيعه.

أخذت بايبر نفساً عميقاً، وقالت: «في هذه الحالة، أود أن أتصل بدون لأعرف آخر أخبار مشروعنا الأخير».

أطبق نك جفنيه قليلاً، ثم قال: «كما تريدين. هذا بيتك الآن. أعيدي تنظيم أغراضي كي توضبي أغراضك، حبيبتي».

تمنت بايبر أن يتوقف عن مناداتها بحبيبته. إنه لقب محبب لا معنى له في حالتهما، مثل كل الألقاب الأخرى التي يستخدمها. أضاف نك: «يمكنك أن تفعلي ما تشائين».

هي تود أن تهرع إلى معانقته، فلا تتركه مطلقاً، لكنه بالطبع لن

يفتح لها ذراعيه. لا! عليها أن تشكر ابني عمه لأنهما سبب اختيارها لهذه المهمة، وإلاّ لكانت كونسويلا مانور هنا الآن بدلاً منها، لتبقى زوجة له مدى الحياة.

- شكراً.

- رتبت الأغراض في مكتبتي لتشاركيني فيها. ستجدين هاتفاً خليوياً على طاولتك.

- كنت أخطط لأشتري واحداً. شكراً.

- على الرحب والسعة.

رفع نك حقيبتها، ووضعها على السرير الملكي. أما بالنسبة إلى السرير وترتيبات المنامة... فذلك موضوع آخر عليهما مناقشته.

حين أدركت بايبر أن نك ما زال واقفاً هناك، غمغمت قائلة: «استمتع بالسباحة».

- إذا غيرت رأيك، سأكون بانتظارك.

لم ترد على تعليقه، لكن كلماته جعلت جسدها يرتجف.

بعد أن أفسحت بايبر المجال لأغراضها في أدراج منضدة الزينة وفي الخزانة، سمعت صوت رشاش مياه من المسبح. استطاعت أن تتخيل جسد نك القوي البنية يقوم بدورات مثل الطوربيد عند انطلاقه.

بما أنها أرادت أن تحافظ على المسافة التي تفصلهما، سارعت إلى إعادة أغراضها إلى مكانها، واتجهت إلى داخل الفيلا نحو مكتبه لتتصل بدون.

بدا مكتب نك الخاص مختلفاً عن بقية غرف المنزل، فالغرفة الكبيرة مرصوفة بالكتب من الأرض حتى السقف، بحيث تصل إليها عبر سلّم.

مرّ الوقت من دون أن تشعر بايبر، وهي تتمعن بعشرات الكتب المطبوعة بلغات يتقنها نك، فقد انتشرت المخططات والخرائط في كل مكان. أخيراً، حين تذكرت سبب وجودها هناك، جلست على المقعد

الخاص بطاولة تنفيذ تصميماتها المزوّدة بمصباح من الأسفل. وضعت الطاولة والمقعد أمام إحدى النوافذ كي تستفيد من الضوء بأكبر قدر ممكن.

تناولت بايبر هاتفها الخليوي. وجدت تحته ورقة عليها رسالة مكتوبة بخط مطبعي جميل. عرفت أنها من نك.

«بايبر!

هذا هو رقم هاتفك الجديد. وضعت عليه رقم هاتفي في البداية، يتبعه رقما غريس وأوليفيا...».

بعد أن عبثت بايبر بهاتفها لمدة دقيقة كي تكتشف كيفية عمله، اتصلت بنيويورك. إلا أن المجيب الآلي هو الذي ردّ عليها فتركت لدون رقم هاتفها الجديد، وقالت إنها سوف تعاود الاتصال به في الغد.

خاب أملها حين لم تُجب أختاها على اتصالها أيضاً. تركت لهما رقمها الجديد قبل أن تقفل الخط، وفي طريق خروجها من المكتبة جالت حول منطقة عمل نك أمام نافذة أخرى.

لفتت انتباهها صورة صغيرة موضوعة في إطار، هي الصورة الوحيدة على الطاولة. يظهر فيها نك وابنا عمه وهم يمتطون فرس حمل الأثقال. بدا لها أنهم لم يتجاوزوا العشرين من أعمارهم في تلك الصورة بلحاهم النامية وشعرهم الطويل جداً. بدا أبناء عائلة فارانو كأنهم يعيشون في الجبال، بعيدين كل البعد عن التحضّر لفترة، كما بدا أنهم يحبون طريقة عيشهم هذه!

حملت بايبر الصورة لتتفحصها عن قرب. لسعها ألم شديد حين فكرت بكل هؤلاء النساء اللواتي عرفن نك وأحببنه على مرّ السنين. كانت بايبر لا تزال في الرابعة عشرة من عمرها حين التُقطت هذه الصورة.

هل رأتها أختاها يا ترى؟ من الواضح أنها تعني الكثير لنك، وإلاّ

لما احتفظ بها في مكتبه.

- تم التقاط تلك الصورة في ألاسكا. كنا نبحث عن الذهب.

حالما سمعت بايبر صوت نك الخفيض، وضعت الصورة مجدداً على الطاولة، واستدارت إلى الناحية الأخرى، شاعرة بالخجل لأنها تمتع عينيها بصورته.

سخرت منه قائلة: «وكأنك لا تملك ثروات كافية!».

وأضافت: «لكنني أظن أنكَ تستحق المديح على محاولتك إيجادها بعرق جبينك. هل نجحتم في ذلك؟».

في تلك اللحظة فحسب، استطاعت بايبر أن ترفع بصرها نحوه، لتلاحظ أنه يريدي سروالاً أصفر وقميصاً حمراء اللون. ابتسامته الرائعة غيرت وتيرة تنفسها...

- لا! تسبب البرق بإجفال الحصان الذي كان يحمل عدّتنا، فهرب منا في أسفل الجبل. قضينا يومين ونحن نفتش عنه. بعدئذٍ ساءت حالة الطقس أكثر، فاضطررنا إلى المراوحة مكاننا. وبغياب الطعام، لابد أننا خسرنا الكثير من وزننا.

ضحكت بايبر، وعلقت: «لا عجب إذاً أن تحتفظ بهذه الصورة للذكرى. أحياناً نحصل على أجمل الذكريات حين يسير كل شيء في مساره الخاطئ».

أمال نك رأسه، وسألها: «أهذه طريقتك لتقولي لي إن رحلتك على متن البتسيوني لم تكن كارثة بالنسبة لكِ بعد كل ما حصل؟».

اجتاحت الحرارة وجه بايبر، فانتفضت لتخبئ حقيقة قراءته لأفكارها بدقة رهيبة، ثم سألته: «أيّ رحلة؟ أتعني تلك الرحلة إلى السجن الإيطالي من دون عودة؟ أم حين اختُطفنا، واحتُجزنا في حجرة سفينتنا؟ أم تعني ذلك اليوم الذي هربنا فيه على الدراجات التي كان علينا أن ندفع ثمنها بالكامل، لنجد أنفسنا منقولات بالعربات إلى الرصيف البحري؟».

هزّ نك كتفيه العريضتين، وأصر قائلاً بصوت ناعم: «تلك كانت قراراتكن. كنا مستعدين لنحقق رغباتكن. لِمَ لا تعترفن بأن مطاردتنا لكنّ استهوتكنّ بقدر ما استهوتنا؟».

حدقت بايبر به، وأجابت: «هل أنت مجنون؟ لقد أرعبتمونا! هربنا لننقذ أرواحنا! لكن عليك أن تكون امرأة كي تفهم، وبما أنك لست...».

قهقه نك ضاحكاً، وردّ قائلاً: «لا، يا امرأتي! أشكر الله كل ليلة لأنني لست امرأة».

بإمكان بايبر أن تراهن على ذلك، لاسيما أنه يريد أن يستخدمها كتغطية له فيما يبدأ بمواعدة المرأة التي أحبها، والتي لم يستطع تزوجها بحسب قوله.

شعرت بايبر أنها غير قادرة على تحمل فكرة علاقته مع كونسويلا أو أي امرأة أخرى، فهمّت بالتوجه نحو الباب.

- إلى أين أنت ذاهبة؟

- سأستحم وأغسل شعري.

- ستقدم باكيتا لنا وجبة طعام على الشرفة حالما تصيري جاهزة.

- يمكنك تناول الطعام بمفردك، فعلى الأرجح أن تجفيف شعري سيستغرق مني وقتاً طويلاً.

- سأجلب لك وصلة كهربائية للقابس.

فيما وصلت بايبر إلى المرحاض، كان نك قد نجح في الانضمام إليها. ربط الوصلة الكهربائية بالقابس، ثم وجّه نظرته البنية الخارقة إليها.

شعرت بايبر بالضعف وهي تقف بجانبه. في ذلك المكان الضيق، فهرعت مجدداً إلى غرفة النوم لتجد فسحة أكبر، حيث يمكنها أن تستنشق الهواء.

نطقت بايبر فجأة: «بالنسبة إلى ترتيبات المنامة...».

أجابها صوته الناعم من خلفها مباشرة: «نعم؟».

- ماالذي علينا فعله كي لا يكتشف الموظفون حقيقة الأمر؟

- سنخلد إلى السرير نفسه كل ليلة. لكننا لن نقيم علاقة حميمة.

صارت بايبر شديدة الحساسية. كان ظهرها لايزال يواجه نك، فقالت: «لم يكن ذاك من ضمن اتفاقنا».

- لا أوافقك الرأي. العلاقة الزوجية واردة ضمنياً في الاتفاق منذ أن أصبحت زوجتي الشرعية. الكلام ينتشر هنا بسرعة، حتى بين الموظفين الأوفياء. مع ذلك، أنا لا أمانع ارتداءك لثيابي الداخلية وثوبي الخاص بالتزلج قبل الخلود إلى السرير إن كان ذلك يجعلك تشعرين بالأمان.

في طريق خروجه من الغرفة توقف نك برهة في الممر، وقال: «علي الاعتراف أنني سعيد لأنك لا تشخرين. وحسب علمي، لم تتذمر أولئك النساء القليلات اللواتي أقمت معهن علاقة بشأن شخيري أيضاً».

وجد نك باكيتا تكنس ممر النسيم، فسألها أن تحضر صينية الطعام إلى زوجته، في تلك اللحظة سمع هاتفه يرن. لم يضطر إلى التفكير بهوية المتصل، لأنه عرف على الفور أنه أبوه.

علم نك من لوك أن والديه سافرا إلى ماربيلا بعد الحفلة ليل أمس، ولم يتفاجأ بذلك. بعد أن أدرك والده أنه تزوج، وأنه لن يستطيع تغيير الواقع، صعُب عليه أن يبقى هادئاً.

نقر نك على الزر الأخضر، وأجاب: «مساء الخير، بابا».

- أنا في طريقي إليك. لاقني إلى سيارتي. سأصل إلى الساحة بعد دقيقتين.

ثم أقفل الخط.

يعرف نك تماماً مدى الصدمة الرهيبة التي تلقاها أبوه، ولو لم تكن بايبر تحتل قلبه وروحه، لشعر بالرعب من هذه المواجهة معه.

ليس لأنه يخاف منه، بل لأن المواجهة قد تسبب نفوراً دائماً بينه وبين أبيه العنيد.

على مر السنوات، قام نك بتلبية رغبات والديه على أكمل وجه، لذلك لم يشعر بالذنب تجاه أهم قرار اتخذه في حياته. الشفقة هي الاحساس الذي ساوره أكثر من أي إحساس آخر، بسبب الألم الذي يشعر به أبوه وعدم قدرته على الاسترخاء كما هو واضح.

خوان كارلوس دي باسترانا رجل رائع، لكنه متصلب في رأيه. تلقى تربيته على يد أب أكثر تصلباً، فاكتسب تلك الصفة منه بقوة. مع مرور الوقت، كان نك يعتمد على روح بايبر الفريدة التي تميز عائلة داتشس كي تكسب حب أبيه. لكن هذا لن يحصل بين ليلة وضحاها، وفي هذه الآونة، يشعر والد نك بالغضب بالنيابة عن صديقه بينيتو الذي ما زال يأمل بالمصاهرة بين العائلتين.

بالرغم من ذلك، حين خرج من الفيلا وصعد إلى سيارة أبيه، كان عليه أن يعترف أنه لم يكن مستعداً بما يكفي لسماع ما سيقوله هذا الأخير.

- إن لم تترك هذه المرأة فوراً فإنني سوف أتبرأ منك كابن لي يتبرأ منه؟!

أضاف والده: «لديك نصف ساعة من الوقت كي تقرر. اتصل بي حين تستقر على رأي».

- أنت لا تعني ذلك أبي.

لطالما كان نك ذلك الابن المثالي الوفي، لذ لم يتوقع منه أبوه أي تصرف معاكس الآن. لكن لسوء الحظ، لم يكن أمام نك أي خيار آخر غير أن يتحداه داعياً إياه إلى تنفيذ تهديده... إذا كان ذلك تهديداً.

وإن لم يكن كذلك، فهو يعني انفصالاً حقيقياً بينهما، لأن بايبر أصبحت الآن أهم ما في عالم نك. من دونها ليس للحياة معنى. كرر

أبوه بفكر عنيد وبنية صلبة كالدرع الذي كان يضعه أسلافه: «سأمنحك بعض الوقت لكي تقرر».

- لا أريد وقتاً، بابا. اتخذت قراري مسبقاً.

- إذن أريدك أن تكون خارج الفيلا وخارج حياتي صباح يوم غد.

خارج حياته؟!

نظر نك إلى أبيه الذي رفض أن يبادله النظر، وسأله: «هل تعرف ماما عن هذا الموضوع؟».

- نعم.

ولأن أباه لم يضف أي تفسير، أدرك نك بدون أي شك أنّ أمه تشعر بالاحباط بسبب هذا القرار. وما من شك أيضاً أن اختيار نك لزوجته هو الصراع الجدّي الوحيد الذي طرأ في زواج والديه.

- أنا آسف حيال مشاعرك، بابا. أحبك كثيراً، لكن بايبر ملكت قلبي.

- اخرج من السيارة.

- قبل أن أفعل، ثمة أمر عليك معرفته. في الواقع، تمنيت ألا أضطر إلى إخبارك به أبداً.

لن يكشف له نك الحقيقة كلها، بل قدراً كافياً يجعله يفتح عينيه أكثر. قال: «لم أحب نينا قط. فسخت خطوبتي بها في اليوم الذي قتلت فيه بالضبط».

حالما أدلى نك باعترافه، استدار رأس أبيه ذو الشعر الأسود المائل إلى الرمادي باندهاش كبير.

ثم أردف: «بعد محادثتنا، غادرت نينا الشاليه. بعدئذٍ رآها لوك تهرع إلى ذراعي رجل آخر قبل أن تصعد إلى الترام الذي أنهى حياتها. إن دل ذلك على شيء فهو يدل على أن محاولتنا تحقيق رغبات أهلنا، لم تلقَ من أي طرف السعادة».

بدأ أبوه بالاعتراض، لكن نك أكمل كلامه، فقال: «لست مجبراً

على تصديقي. اتصل بابن أخيك الذي شهد الواقعة بالعين المجرّدة، وسوف يقول لك إن هذا الرجل هو حبيبها. ليس هناك من تفسير آخر لشغفهما، أو للطريقة التي تشبث بها أحدهما بالآخر».

ساد الصمت المطبق بينهما، وأخيراً تكلم أبوه بصوت أجش: «لا يبدو أنك تتحدث عن نينا التي أعرفها».

شعر نك بالأسف الشديد حيال أبيه الذي لطالما اعتقد أن نينا مثالية إلى حد ما.

- علاقتها مع رجل آخر كانت صدمة بالنسبة لي أيضاً. لو لم أعبر لها عن مشاعري الحقيقية في ذلك اليوم، ولم يحدث ما حدث، من يدري إن كانت ستكمل مراسم الزفاف؟ ولأنني عرفت أن خبر علاقتها برجل آخر سوف يقتل بينيتو وينز، لم أتفوه بكلمة عن الموضوع، ولم أنوِ حتى أن أخبرهما. لكن ما أقصده هو أن زواجي بنينا كان سينتهي بكارثة، وكذلك زواجي بكاميلا.

اضطرب أبوه في مكانه، وهذا دليل على أن ذكر اسم كاميلا ضربه على الوتر الحساس. من الواضح أن هذا الحديث غير المتوقع سبب له صدمة عظيمة.

- بالرغم من عدم الإفصاح عن الأمر، كلانا نعرف أن بينيتو وإينيز يريدان أن تصبح كاميلا فرداً من العائلة.

طأطأ والد نك رأسه، كأنه يقر من دون وعي بصحة ما سمع. أضاف نك: «أظن أن وقع الأمر سيبدو ألطف عليهما إذا اكتشفا الليلة أنني وجدت زوجة».

تنشق والده نفساً عميقاً، وعلق قائلاً: «قد يسبب هذا الخبر لبينيتو سكتة قلبية. هل أنت واعٍ لهذا؟».

- أفترض حدوث أيّ شيء، بابا. لكن مهما كانت الحقيقة مؤلمة بالنسبة إليه، هو لا يستطيع أن ينكر تكريمي لذكرى موت نينا، أليس كذلك؟».

مضى وقت طويل قبل أن يغمغم أبوه: «نعم».

- تدرك بايبر تماماً أنهما من أعز أصدقائك. وهي تعرف أن المشاعر ستبقى مضطربة لفترة من الزمن، لذا سوف تفعل ما بوسعها كي تتعامل معهم ومع كاميلا بلطف.

أضاف نك: «إذا تجرأ بينيتو وإينيز أن يعبرا عن غضبهما تجاه زواجي ببايبر، فسوف يخسران. لكن ثمة مؤاساة ما. على الأقل إذا اختارا أن يرحلا، سيرحلان من منزلي لا من منزلك. سيلومانني أنا لا أنت».

قام نك بمغامرة مدروسة حين أضاف: «ستظل صداقتكم وطيدة، لاسيّما حين تعلن لهم أنك تخليت عن ابنك الوحيد. وسيكون ذلك مؤثراً كثيراً لتهدئة بينيتو».

بعد تلك الملاحظة الصريحة، ترجّل نك من السيارة وأقفل الباب وراءه. بقي أبوه جالساً في مكانه لفترة قبل أن ينطلق. وحالما فعل، تناول نك هاتفه الخليوي واتصل بلوس. ما إن أجابه ابن عمه حتى سأله: «هل أنت وحدك؟».

- أنا وماكس ننتظر الفتاتين. صرنا جاهزين تقريباً للذهاب لتناول العشاء، لكننا سننتظر اتصالك. نريد أن نعرف ما الذي سيحدث حين تنفجر قنبلتك الصغيرة أمام عائلة روبلز.

أخفض نك رأسه، وقال: «أخشى أن الخطط قد تغيرت فأبي هو من ألقى عليّ قنبلة».

- ما مدى قوتها؟

- أتذكر حين سألتني في شهر آب إذا كنت أحب أن أحظى بجار دائم؟

حصل ذلك حين اعتقد لوك أن أوليفيا ستتزوج أخيه سيزار، وفكر أن موناكو ليست كبيرة بما يكفي لتتسع لهم هم الثلاثة معاً.

- إذاً، كان أداء العم كارلوس مجرد تظاهر في الليلة السابقة.

- من بدايته حتى نهايته. منذ بضع دقائق، أتى إلى الفيلا بقرار حاسم. أعطيته جوابي، وما زلت أسمع صرير إطارات سيارته.

- أفترض أنه أمرك أن تتركها وإلا...

- أو أنه سيتبرأ مني.

- يتبرأ منك؟ هل ذهب بعيداً إلى هذا الحد؟

- هذا ما قرّره. قلت له إنني اخترت عروسي، فأمهلني حتى يوم غد كي أوضب أغراضي ولا أعود أبداً.

- أنت تمزح!

خرجت من فم لوك بعض الشتائم باللغة الفرنسية.

- قبل أن يغادر، تركته مع الكثير ليفكر به، فلا تعجب إذا اتصل بك للتثبت من صحة الخبر.

- عمّ أخبرته؟

- عن حبيب نينا.

- هل أخبرته كل شيء؟

- لا! لا يزال يجهل أمر القاتل وشكوكنا حوله. لا أحد يعرف إذا كان سيهدأ بما يكفي ليظهر الليلة حين أواجه بينيتو.

- لحظة واحدة، نك. يريد ماكس أن يعرف ماذا يجري.

استطاع نك أن يسمع الرجلين يتحدثان قبل أن يتكلم ابن عمه الآخر على الخط.

- آسف لأن العم كارلوس فقد صوابه، لكننا نجهل الآتي.

- الانفصال بيني وبين أبي محتوم، ماكس. لكن همي هو بايبر، فالسبب الوحيد الذي دعاها إلى الزواج بي هو اقتناعها أننا بحاجة إلى من يتجسس على أسرة روبلز. بالحكم على سير الأمور، فقد يكون بينيتو عدائياً جداً.

- لا تقلق. فيما تستعد لاستقبال ضيوفك، سنفكر أنا ولوك باستراتيجية أخرى. إذا انقلب كل شيء عليك، قل لبايبر إنك انتقلت

إلى الخطة البديلة التي تقضي بأن تباشر عملك من ماربيلا بدلاً من موناكو.

- شكراً، ماكس. كالعادة، أدين لكما أيها الصديقان.

- كلنا مدينون لبعضنا. سأتكلم معك لاحقاً. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

عاد نك إلى داخل الفيلا، فوجد بايبر على الشرفة تنهي سلطة القريدس التي أعدتها باكيتا لها. منظر شعرها المغسول حديثاً والذي يتلاعب به النسيم حرّك مشاعره بقدر ما أثرت به رؤية جسدها الجميل المغطى بسترتها القطنية الزرقاء وتنورتها القصيرة.

منذ شهر تموز الماضي حين ألقى نظره عليها لأول مرة، يتوق نك إلى اليوم الذي تستقر فيه بايبر هنا كزوجة له. يا للسخرية! إنهما قد يضطران إلى المغادرة في الصباح.

وقع نظر بايبر على نك في غفلة منه. قالت من دون مقدمات: «أثمة خطب ما؟».

- كيف عرفت؟

- أستطيع أن أعرف من وضعية فكك. حين تكون مرتاحاً، ترتاح عضلات وجهك. الفنانة في داخلي تلاحظ هذه الأمور.

إذا لم يتنبه، فسوف تلاحظ أكثر بعد!

- مرّ أبي من هنا منذ بضع دقائق.

- توقعت أن تقض مضجعه أحداث الأمسية القادمة.

لفّ نك أصابعه حول مؤخرة الكرسي التي تقابلها، وقال: «بعد التفكير بكل شيء، هو قلق بشأن الصدمة الكبيرة التي سوف تحلّ على السيد روبلز بسبب زواجنا».

ابتعدت بايبر قليلاً عن الطاولة، ثم وقفت. سألته: «هو لا يريدنا أن نمضي بالحفلة هذا المساء، أليس كذلك؟».

- نعم، لكننا سنمضي بها على أي حال. أقول هذا لك كي لا

تتفاجأي إذا لم يحضرها.

حين شعر نك أن بايبر تعيد التفكير بالموضوع، قال: «هذه قضية حياة أو موت، حركة خاطئة واحدة قد تدمر كل شيء».

أشاحت بايبر ببصرها بعيداً، وأجابت: «من الطبيعي أنني لا أرغب بأن يتعرض الوضع للخطر، لكن لابد أن والدك قلق بشأن ما سوف يحدث».

- أحياناً يضطر المرء إلى التصرف بقسوة كي يصل إلى اللطف، بايبر. بسبب صداقة بابا لبينيتو، جعلوا كاميلا تعتقد أنها ستتزوج بي أخيراً. هل تظنين أن من العدل أن ندع الأمر يطول دقيقة أكثر مما ينبغي؟

أرجعت بايبر رأسها فجأة. وأجابت: «لا! بالطبع لا».

ثم استدارت نحوه تماماً، وسألته: «هل تريدني أن أرتدي البذلة نفسها التي ارتديتها في الليلة الماضية؟».

- لا! تبدين رائعة كما أنتِ.

- أنا سعيدة بقولك هذا. فالتأنق في لباسنا يجعلنا نبدو كأننا نريد أن نتباهى أمامهم.

إن لطف بايبر الفطري جعل نك يعجب بها أكثر فأكثر. علق قائلاً: «كأنك تقرأين أفكاري. كما تعلمين، هم أشخاص جافون جداً ومن الطراز القديم، إن رؤيتهم لنا في ملابس عادية هو الطابع الذي أريد إيصاله».

- أتعني أنك تزوجت بأميركية أدنى منك مرتبة، وأنت تذعن لذلك.

- لا! تزوجت بتوأم روحي، وهذا أنا على حقيقتي.

ابتسمت بايبر ابتسامتها القاسية. وأجابت: «أنت ممثل بارع! كدت تخدعني الآن، كابتن باسترانا».

- هل ذنبي لا يغتفر؟ تعتقد أختاك أن الشخصيات التي تخفين

وراءها على البتسيوني كانت ممتعة.

- أختاي مغرمتان جداً بزوجيهما.

ابتسم ابتسامة عريضة وأضاف: «صححي لي إذا أخطأت، لكنني أتذكر أن فتيات عائلة داتشس لديهن مقياس متدرج من واحد إلى عشرة كي يقيّمن الرجال في حياتهن، وكما فهمت، فاق تقييم لوك وماكس المقياس أساساً».

أردفت بايبر من غير توقع: «كذلك أنت».

ارتفع معدّل الأدرينالين في شرايين نك، ما زاد الحرارة المشتعلة بداخله. علق قائلاً: «هذه المرة الأولى التي أسمع فيها ذلك».

- لا تغتر بنفسك كثيراً، فقد كان الأمر تقييماً جدولياً بحسب مقاييس غريس.

- أتعنين أن جدولك مختلف؟

- أبي هو الجدول الذي أعتمد عليه. حتى الآن، لم يقاربه أي رجل.

- هل تبحثين عن أب بديل؟

- حسبما كانت تقوله أمي، فهو زوج رائع. وهذا كاف بالنسبة لي.

- أخبريني عنه.

- كم تبقى لدينا من الوقت؟

- بعد حفلتنا، لدينا الليل بطوله لنتحدث. هل كنتِ الفتاة المدلّلة عنده؟

- كنا كلنا مدلّلات، وهذا ما جعله رائعاً.

- ألم يقم بأي خطأ قط؟

- نعم.

لاحظ نك حينها أن حنجرة بايبر تتحرك، فيما أضافت: «لقد مات!».

٦ ــ حمامة السلام

فاضت مشاعر بايبر وراحت تهددها بالظهور علناً. شعرت بحاجة ملحة خطيرة وقوية جداً تدفعها لأن تعبر لنك عن مدى حبّها له. أرادت أن تفعل شيئاً حيال طاقتها المكبوتة، فقالت: «حلّ الليل، وبدأت الحرارة بالانخفاض. سأدخل إلى المنزل».

حثت خطاها، فمرت أمام نك قبل أن تصل إلى الممر الرئيسي، ناداها قائلاً: «نسيت هذا».

انتظرت قليلاً في المدخل، ثم استدارت نحوه متسائلة: «ماذا نسيت؟».

حمل نك خاتم الخطوبة المرصع باللؤلؤة، والذي تركته بايبر في صحن السيراميك على طاولة التبرّج. كانت قد نزعته من يدها قبل أن تغسل شعرها، ونسيت أن تعيد وضعه.

- لا تكتمل عروسي من دونه.

مع كل خطوة يقوم بها نك تجاهها كان قلب بايبر يضج مضطرباً، حتى إنها سمعت صوته في أذنيها. مدّت يدها وكفها مفتوح إلى الأعلى، ليتمكن نك من وضع الخاتم.

وجّه نك إلى بايبر نظرة متفحّصة. وقال لها: «أنت ترتجفين».

أزاحت بايبر يدها، وقد شعرت أن لمسته أحرقتها.

- لست الشخص الوحيد الذي حذرني من طبع كاميلا السريع الانفعال. أختاي تخشيان أن تؤذيني جسدياً حين ترى أنني أضع

www.elromancia.com

الخاتم الذي كان يزين إصبع أختها.

- أنت مخطئة بشأن الخاتم، بايبر. وضعت نينا خاتم الماس الذي انتقاه لها أبي من بين مجوهرات عائلة باسترانا، أما أنا فأعطيتك اللؤلؤة التي وضعتها دوقة عائلة بارما.

خرجت الكلمات من فمها مصحوبة بشهقتها: «ماري لويز؟».

- مَن سواها؟ هذا الخاتم ينتمي إلى المجموعة المسروقة التي عرضت في المزاد العلني في لندن في شهر تموز الماضي. كنت هناك لحضور زفاف غريس وماكس، وانتهى بي الأمر إلى دفع ثروة صغيرة كي أستردّه.

هزت بايبر رأسها يميناً ويساراً، وصاحت: «ليتك لم تخبرني بذلك! الآن أصبحت خائفة عليه أكثر من أي وقت مضى. أنا المرأة الأخيرة التي يجب أن تضعه».

ومضت عينا نك بالتماعة وحشية، فأدركت بايبر أنه يشعر بالغضب. قال: «من أفضل من المرأة التي أتت إلى أوروبا في المرة الأولى وهي تضع قلادة الدوقة؟ برأيي، لا أحد أحق بذلك ممن له صلة قرابة بها».

- أخبرتك أن أصل اسم عائلة داتشس متحدر من لفظة فرنسية، وأن عائلتي ليست متحدرة من أصل إيطالي!

زمّ نك شفتيه، وقال: «هذا قبل أن يكتشف السيد روسّي أن هناك قلادتين أصليتين. نابليون بونابارت إمبراطور فرنسا أتى باللؤلؤة مع حملته المصرية، وماري لويز هي زوجته الثانية. من المحتمل جداً أن تكون قصة تورط إحدى قريباتها مع راهب ما، صحيحة».

أضاف نك: «أفترض أنه راهب فرنسي ذو صلة بالمحكمة الفرنسية، وقد قام باختطاف الطفل والقلادة وفرّ بهما إلى أميركا. ستظهر الحقيقة يوماً ما».

- لا تهمني الحقيقة نك. ينتمي هذا الخاتم إلى القصر الدّوقي في

كولورنو!

قال نك: «أظن أنه أكثر أماناً في يدك. هل يمكننا الذهاب الآن إلى الجهة الأخرى من المنزل؟ سوف يصل ضيوفنا قريباً».

مشت بايبر بخطى سريعة كي تحافظ على مسافة بينهما.

أصابتها الدهشة حين دخلت قبل نك ووجدت والديه يستمتعان بتناول شراب في غرفة الجلوس، شعرت بايبر بالارتياح لرؤية السيد باسترانا وقد أتى ليقف إلى جانب ابنه، عالماً أن هذه الأمسية تشكل حدثاً صعباً بالنسبة إلى نك.

بعد النظر إلى أبيه لمدة طويلة، رأت بايبر نك يعانق أمه. تبادلا بعض الكلمات همساً قبل أن تترك والدته دفء عناقه كي تعانق بايبر. فيما كانتا تتعانقان، سمعت بايبر أصواتاً في البهو، وسرعان ما رأت نك يقف هناك مع عائلة رويلز.

لاحظت بايبر أن كاميلا تتمتع ببنية متناسقة، فهي ذات قامة متوسطة في الطول مثل أمها. بدا شعرها الأسود الكثيف ملفوفاً فوق رأسها، يزينه مشط مرصّع باللآلئ، وهي ترتدي فستاناً أحمر حريرياً.

لاحظت الفنانة في بايبر أن اللون الأحمر لا يناسب بشرة كاميلا. لو أنها صففت شعرها في لفات قصيرة حول وجهها لبدت ملامحها أكثر نعومة، ومع التبرج المناسب والثياب المناسبة أكثر لسنها ستبدو أكثر جاذبية. راح نك يتحدث إليهم باللغة الإسبانية، ولم تستطع كاميلا أن تزيل عينيها البنيتين عنه. لا تستطيع بايبر أن تلومها مطلقاً، فنك رجل رائع، ولا عجب أن تلاحقه عيون الفتيات أينما حلّ. المسكينة كاميلا تشهد هذه الظاهرة منذ سنوات. لابد أنها تألمت كثيراً وهي تحبه عن بعد، مدركة طيلة الوقت أنه في فترة حداد على أختها.

وكأن نك قرأ أفكار بايبر، إذ تركزت نظرته عليها. سمعته يقول باللغة الإنكليزية: «كاميلا! تعالي إلى غرفة الجلوس. هناك شخص أريدك أن تلتقي به. والداك التقيا بايبر في حفلتي زفاف ابني عمي».

وقفت والدة نك بالقرب من بايبر، ثم انضم السينيور باسترانا إلى زوجته. ذكّرها هذا المشهد بساحة القتال القديمة، حيث يصطف الفريقان على كلا الجانبين خلف الرايات والأعلام بانتظار بدء الهجوم. لم يعد نفَس بايبر يتبع وتيرة محددة عندما انتقل نك إلى جانبها، ووضع يداً تملكية حول كتفيها.

- أقدم لك بايبر داتشس، شقيقة زوجتي ابني عمي وزوجتي، السينيورا باسترانا.

ساد الصمت الجميع، حتى إن بايبر تمنت لو أنها تغطي أذنيها. همس السيد روبلز بصوت مرتجف: «هل تزوجت؟».

- نعم، بينيتو. إنها قصة طويلة. بعد ألم شديد تبع وفاة نينا، لم أعرف كيف سأمضي بحياتي. حزنت لأشهر طويلة، ثم وردني اتصال هاتفي من ماكس يخبرني فيه أن قلادات الدوقة شوهدت على أعناق شقيقات توائم ثلاث قادمات من أميركا، وطلب مساعدتي لأقوم بالتحقيقات.

أردف قائلاً: «اللقاء بهن هو خبرة لا تُنسى بالنسبة لي. بدا كأن وجودهن بمثابة شعاع شمس بعد أشهر من الظلمة. رأيت ابني عمي ينجذبان إلى اثنتين منهن، ولم أعرف خلال فترة حدادي أنني أنا أيضاً سوف أنجذب إلى هذه التوأم بالذات».

تلعثم نك وهو يتابع: «حين ذهبت... إلى نيويورك في اليوم الأول بعد انتهاء فترة... الحداد مررت بها في مكان عملها. و... أمر يؤدي إلى آخر كما تعلم».

عرفت بايبر مدى صعوبة هذه اللحظة على نك، فقررت أن الوقت حان لمساعدته. حدقت بايبر إلى ثلاثة أزواج من العيون البنية واعترفت قائلة: «أنا... لطالما تمنيت أن يأتي نك ليراني حين تنتهي فترة حداده. لم أصدق أذني حين قالت لي مساعدتي إنه ينتظر في غرفة الاستقبال».

بعد أن رطّبت شفتيها بتوتر، قالت: «وقعت في حبه على متن البتسيوني، لكنني علمت من ابني عمه أنه كان حزيناً على نينا، فأدركت أن ليس من حقي أن أتوقع شيئاً منه، فعُدت إلى نيويورك. بعد زفاف غريس جئت إلى أوروبا مرة أخرى، لأجد أوليفيا متزوجة».

امتلأت عينا بايبر بالدموع، لكنها لم تحاول أن تكبتها. مادام نك يظن أنها تؤدي دورها فقط فهي تستطيع أن تفلت من جدّية الموقف.

أكملت تقول: «كان لدي صديق في نيويورك، اسمه توم. أراد أن يتزوج بي، وكنت على وشك الموافقة، لكنني أدركت أنني لا أستطيع تحمل الأمر».

وجهّت بايبر نظرها إلى كاميلا، وأردفت: «لا تستطيعين الزواج من شخص لا تحبينه، أو ممن تعرفين أنه لا يحبك. قبل أن ننفصل، اتهمني توم بأنني أحب نك، فاعترفت له بحبّي، لكنني قلت له إن نك في فترة حداد، وعلى الأرجح أنني لن أراه مجدداً».

اتجهت نظرة بايبر إلى السيد روبلز الذي كانت عيناه تشعّان بالتماع غريب.

تابعت بايبر: «حين ظهر نك، وعرفت أن فترة حداده انتهت، خشيت أن أظهر له الكثير من المشاعر، فتركته في شك بشأن شعوري تجاهه. إلا أنه غيّر عالمي حين طلب مني الزواج به. شعرت أننا نعيش حلماً رائعاً وخشيت أن ينتهي قريباً، لذا اتصلت بأعز صديق لأبي ونظمنا مراسم الزفاف في مكتبه الخاص بالمحاماة. لكم تمنيت أن يكون والداي حاضرين. لكانا سيحبّان نك كما تحبونه أنتم».

راحت الدموع تنهمر من عيني بايبر فيما أردفت وهي توجه كلامها إلى كاميلا: «نك يحب عائلتك كثيراً، لذا أصرّ على أن تعلموا جميعكم بالخبر الليلة، قبل أن ينتشر».

أخذت بايبر بعض الدقائق كي تستعيد أنفاسها. ارتجف صوتها عندما استأنفت كلامها قائلة: «صدّقني سينيور إذا قلت لك إن نينا

ستبقى أبداً في قلب نك. أخبرني ابنا عمه أنها حبه الكبير، لكن في الحياة مكان لأكثر من حب واحد. ألا تظن ذلك؟ أنا أحبّه أيضاً، وسأحاول أن أسعده كما كانت ابنتك ستسعده».

ثم حوّلت بايبر انتباهها إلى السيدة روبلز وقالت: «أتمنى أن نبقى كلنا أصدقاء. أدرك تماماً أنني لن أتمكن من أخذ مكان نينا. رأيت صوراً لها... كانت جميلة، تماماً مثلك ومثل كاميلا».

استحضرت بايبر غرائز معينة في داخلها لتمسك يدي إينيز، وقالت: «أخبرني نك أن أباه يحب ابنتيك كما لو أنهما ابنتاه بالضبط. أرجو ألا يغيّر زواجنا علاقة الصداقة بين العائلتين».

ثم استدارت بايبر إلى كاميلا، وأردفت: «أريد أن أتعرف عليكِ أكثر. شعرت بالضياع التام بعد موت والديّ، ثم تزوجت أختاي. سأحتاج إلى أصدقاء».

في هذه اللحظات، بدت الوالدتان متأثرتين، وأجهشتا بالبكاء. ناولت والدة نك بايبر منديلاً قبلته هذه الأخيرة بامتنان، وراحت تمسح الدموع عن وجهها.

بدا الصمت المقابل من جهة كاميلا ووالديها فظيعاً، ما أثار توتراً وغضباً دفينين، لكن ما لبثت إينيز أن خرقت هذا الصمت. ابتهجت بايبر حين تقدّمت المرأة الأخرى كي تقبلها على كلا الخدين، ثم رفعت يديها نحو وجه نك.

- أنت وزوجتك الجديدة موضع ترحيب على الدوام في بيتنا.

لمعت عينا نك السوداوان الجميلتان بدموع محبوسة. ثم همهم قبل أن يعانقها: «شكراً، إينيز. لا تعرفين كم يعني هذا لي».

بدت حركات بينيتو متثاقلة، لكنه اقترب من بايبر أخيراً، وقال: «مبروك، سينيورا باسترانا».

ثم رفع يدها اليسرى التي تضع فيها الخاتم اللؤلؤي، وقبلها.

- شكراً جزيلاً، سينيور روبلز.

أثناء هذه اللحظات لاحظت بايبر ارتياحاً على وجه والد نك، فشكرت الله على هذا التقدم.

ضغطت يد نك خاصرة بايبر قبل أن يقول: «هل يمكننا أن ندخل غرفة الطعام؟ طلبت من باكيتا أن تعدّ لنا عشاء خفيفاً».

اقتراح نك قابله اشمئزاز ظهر على تعابير كاميلا. قالت: «ظننت أننا سنتناول العصير فحسب، إذ لدي مخططات أخرى لهذه الأمسية».

ابتسمت بايبر لها، وقالت: «أنا متأكدة أن ثمة رجلاً مميزاً جداً يتحرق شوقاً كي يلتقي بك. أفهمك جيداً. إذا كنت لا تحبين أن تمضي الوقت مع مجموعة من الأشخاص المتزوجين، فسوف يقوم نك بإيصال أهلك إلى المنزل إذا أردت ذلك».

ثم أكملت: «اذهبي واستمتعي بوقتك. ربما يمكنك أن تأتي لتناول الغداء في أحد الأيام القريبة؟ يمكننا أن نسبح ونتحدث معاً. أنا لا أعرف أكثر من عشر كلمات باللغة الاسبانية، وأظن أنني أحتاج إلى الكثير من المساعدة».

تكلمت إينيز حين لم تتفوه ابنتها بكلمة: «بالتأكيد سوف تفعل».

عرض نك خدمته قائلاً: «سأرافقك إلى السيارة، كاميلا».

عرف نك أن أخت نينا تلقت صدمة كبرى. لو أن بايبر مكانها لبحثت عن مخرج أكثر لباقة. تمنت كاميلا ليلة سعيدة للجميع، ثم توجهت إلى البهو مع نك.

استدارت بايبر نحو الآخرين، وقالت: «على الأرجح أنهما يريدان أن يتحدثا لدقائق معدودة. لِمَ لا ندخل غرفة الطعام ونبدأ بتناول العشاء؟ سينضم إلينا نك حين يصبح مستعداً».

اعتقدت بايبر أن غيابه سيطول، إلا أنه عاد قبل أن يُقدَّم حساء السمك. اتخذ مكانه بجانب بايبر، أما حركته التالية فبدت مفاجئة لها. وضع نك يده تحت الطاولة وشد على رجلها. افترضت بايبر أنها طريقته كي يعبر لها عن شكره، لكنها تمنت لو أنه اختار طريقة

أخرى.

توجه الحديث نحو لوحات بايبر التي جلبتها معها إلى أوروبا، فأثنت عليها والدة نك كثيراً.

علق نك قائلاً: «بايبر فنانة رائعة. حين رأيت أعمالها في بادئ الأمر، لم أعرف أنها بارعة في رسم الوجوه. لم أعرف ذلك إلا حين دخلت إلى شقتها في نيويورك ورأيت رسماً لوالديها على لوحة معلقة على الحائط. بدت تحفة حقيقية».

طرفت بايبر بعينيها، فهي لم تعتقد أنه أعار انتباهه إلى هذه الدرجة. تكلم السينيور باسترانا جهاراً للمرة الأولى، إذ نظر إلى بينيتو وقال: «يصادف عيد ميلادك الشهر القادم. وأنا أرغب بالطلب من زوجة ابني أن ترسمك مع إينيز كإحدى هداياي لك».

هتفت بايبر بلطف: «هذا شرف لي».

ثم أضافت: «أخبرني نك أنك تملك الفيلا الأكثر روعة وغرابة في الأندلس، سينيور روبلز. لربما يمكنك أن تأخذ وضعية ما في إحدى غرفك المفضلة أو في الحدائق التي تحيط بالفيلا. أعني في أي مكان فيه مقدار كاف من الضوء ليظهر اللمعان في شعرك».

سألها الرجل بدهشة: «شعري؟».

- نعم. مع عينيك الغامقتين وبنية عظامك القوية، أنت من بين أكثر الأندلسيين الذين يتمتعون بأروع الوجوه وألوان البشرة التي رأيتها.

تمتم بينيتو لصديقه القديم: «ربما تودّ زوجة ابنك أن ترسمك وماريا أولاً!».

استطاعت بايبر أن تلاحظ سروره بالفكرة.

- سيأتي يوم ترسم فيه بايبر أهلي.

ثم أضاف: «لدينا العمر بأكمله. ما من شك أنها ستفعل».

عرض والدا نك أن يوصلا صديقيهما إلى المنزل. رافقهم نك إلى

الفناء، ليعود بعد لحظات إلى داخل البهو. أقفل الباب، وأمسك بايبر.

- نك... اتركني...! ماذا تفعل؟

أخذ نك يتمايل بها بشكل دائري، وكأنهما في باحة للرقص. أخيراً رفعها فوقه فيما راحت عيناه تضجان بالسعادة.

- لقد نجحتِ! ما زال أبي وبينيتو يتحدّثان إلى بعضهما. في الواقع، أشعر أنهما سيتقربان من بعضهما أكثر من أي وقت مضى. لا يستطيع تحقيق إنجاز رائع كهذا إلا إحدى توائم عائلة داتشس. تعالي إليّ، يا قلبي!

بدت بايبر خفيفة كالهواء بالنسبة إلى نك.

سألته بايبر، فيما توجه إلى القسم الآخر من الفيلا: «إلى أين سنذهب؟».

- سنعقد مؤتمراً نضع فيه استراتيجيتنا التالية.

- أين؟

- في المسبح.

- الطقس بارد هناك.

- لن أقبل بكلمة لا جواباً. ثمة مكافأة تنتظرك إذا هزمتني في المنافسة.

- وخدعة إذا لم أفعل.

أطلق نك تلك الضحكة الرجولية العميقة التي تسرّبت إلى كل ذرة من كيان بايبر، ما دفعها إلى تغيير ملابسها وارتداء ثوب السباحة بسرعة.

كان نك يحرك قدميه إلى الأعلى وإلى الأسفل في المياه المتلألئة الدافئة في بركة السباحة حين ظهرت بايبر على السطح بعد أن غطست إلى القعر.

- لو لم تعترفي بحبّك أمام العائلتين، لفجّر خبر زواجنا حرب المئة عام على الطريقة الإسبانية.

- أنا سعيدة لأن كل شيء جرى بشكل جيد، ولأن والديك لم يبقيا بعيدين بعد ما حصل. بدا اقتراح أبيك بأن أرسم والدي نينا ملهماً.

قال نك بصوت خشن: «لكن ملاحظاتك بدت إطراء واضحاً. لم يعد أمام بينيتو أي مجال للتحدي، لأن كلام زوجتي اللطيفة بدا كأنه نابع من قلبها مباشرة. حتى إنني صدقتك».

أجابت بايبر بنبرة جامدة: «هذا جيد».

وأردفت: «أنا مستعدة لعمل أي شيء كي أمنع وقوع جريمة قتل قد تدمر عائلتينا معاً إلى الأبد».

أخذت ابتسامة نك تتضاءل، وعلّق قائلاً: «لن يحصل أي مكروه لكلينا».

انقلبت بايبر في دورة كاملة في المياه كي تضبط أعصابها. وحين بانت على السطح كي تأخذ نفساً، وجدت نك بجانبها مباشرة.

همس: «هل من خطب؟».

- كاميلا هي العنصر الخطير. رأيت الطريقة التي تنظر بها إليك هذه الليلة.

تساقطت قطرات المياه من ذقنه المربع القوي فيما قال: «بدا من الصعب قراءة أفكارها، لكنك تعاملت معها كمحترفة. لا يمكن لأحد أن يشك بأنك تعرفين شيئاً عن مخططات أبيها لها».

فيما كان نك يتكلم، جالت نظرته خفية على ملامح بايبر وانحناءاتها قبل أن تجول على طول أطرافها. إنه يتكلم عن كاميلا وكأنها قضت عليها تماماً!

تظاهرت بايبر أنها لم تلاحظ الطريقة التي ينظر بها إليها. في النهاية نك هو الآن رجل متزوج، وقد قال لها إنه يرغب في أن يحول

زواجهما إلى حقيقة إذا كان ذلك ما تريده. والآن، شعرت بايبر بجسدها يتوق إليه، فخشيت أن تقع في خطر نسيان اعتزازها بنفسها، فتستسلم لمشاعرها. إن فعلت سوف تستيقظ في الصباح على حقيقة أنه يحب امرأة أخرى. لا شيء سيغير تلك الحقيقة القاسية.

استدارت بايبر لتستلقي على ظهرها دافعة نفسها إلى الأمام بركلات قوية، إلا أن نك ظل بجانبها.

- بايبر!

حين سمعت اسمها، توقفت عن السباحة وعن رش المياه. تسارعت نبضاتها، وسألته: «ما الأمر؟».

أضافت: «هل أشتم رائحة خدعة في طريقها إلي؟».

ابتسم نك، وأجاب: «ليست خدعة. حين أوصلت العائلتين إلى السيارة، دعوتهما لتشهدا مراسم زفافنا في كنيسة البلدة نهار غد عند المغيب».

شعرت بايبر بالرعب، لكنها أجابت: «حسناً».

قام نك بإخبار السيد كارلسون على مسمعها بأن هذا ما سوف يحدث، إلا أن بايبر لم تظن أن الأمور ستصل إلى هذا الحد!

سبحت إلى حافة المسبح حيث رفعت جسمها عالياً نحو الآجر. لحق بها نك بسرعة البرق، وأمسك برجلها. ظنت في البدء أنه سيسحبها إلى المياه مجدداً. لكنه بدلاً من ذلك، قام بحركات دائرية لطيفة بإبهاميه على مشطي قدميها. خافت بايبر من أن تجرفها حركته تلك فتفضح مشاعرها.

- هذا جزء من الخطة التي وضعها السيد بارزيني. يجب أن تحتفل بزفافنا وفق شعائر الكنيسة، الأمر الذي سيؤدي إلى اقتناع العائلتين أن زواجنا هو ثمرة حبنا. أما أختاك فلن تتوقعا أقل من هذا.

لطالما كان نك منطقياً، لكن كل دقيقة تمضيها بايبر معه تعلقها به

www.elromancia.com

بطريقة لا مفرّ منها. حين يأتي وقت الفراق، كيف ستتمكن من تحمل ذلك؟

- هل تريدين أن أتصل بهما الآن وأدعوهما إلى حضور المراسم، أم أتصل بابني عمي؟

تراجعت بايبر عن الحافة قليلاً، فارضة عليه أن يترك قدميها. وأجابت: «سأتصل بهما بنفسي».

رفع نك نفسه على الآجر حتى بان جسده الجذاب بأكمله. وأضاف: «بينما تتصلين بهما، سأستخدم هاتفي الموجود في مكتبتي لأكلم الكاهن وأعدّ الترتيبات الضرورية. هيا! يمكنك أن تستحمي أولاً».

أسرعت بايبر إلى الداخل كي تقوم بما طلبه منها. ارتجف جسدها فيما وقفت تحت مرشّة المياه، لكنها كانت ترتجف من الخوف لا من البرد. غداً في مثل هذا الوقت ستكون زوجة نك أمام الله والكنيسة. في الواقع تجاوز الدور الذي قبلت أن تلعبه حدود السيطرة.

بعد أن جففت بايبر جسمها ارتدت ثياب النوم ورداءها. تناولت هاتفها من الخزانة، واتصلت بغريس أولاً. بدا ذلك جنونياً، لكنها قامت به على أي حال.

- مرحباً!

- مرحباً غريس. هذه أنا.

- الحمد لله! منذ أن عدنا من المطعم، ونحن جالسون على شرفة منزل لوك ننتظر اتصالاً منك أو من نك تخبراننا به عما حدث الليلة. ماكس ولوك يشعران بالتوتر، وأوليفيا تخشى أن تكون هنالك مواجهات حامية كتلك التي حدثت في الصباح.

- أخبريها أن كل شيء سار بشكل جيد. رحلت كاميلا باكراً وحدها، لكن والد نك والسيد روبلز ذهبا إلى المنزل معاً برفقة زوجتيهما. كما قال نك، لقد تفادينا وقوع الحرب.

- هذه أخبار رائعة.

- نعم. أوافقك الرأي.

- أعطيني دقيقة كي أعلم الجميع بآخر الأخبار. فهم يتحرقون شوقاً إلى معرفة التفاصيل.

قبل أن تعود غريس إلى الهاتف مجدداً، ارتجفت بايبر لمجرد تفكيرها بالموقف الرهيب، فيما لو سارت الأمور بالاتجاه المعاكس.

- مرحباً! لقد عدت. يقول لوك إن حبّكما القوي واضح جداً للعيان. العم كارلوس سوف يلاحظ ذلك حتى لو كان قلبه مصنوعاً من الحجر.

لابد أن نك هو المخادع الأبرع ما دام قد تمكن من خداع غريس. أجابت بايبر: «السيدة روبلز هي التي كسرت الجليد، فكانت أول من عانقني».

- أنت صانعة السلام، بايبر. عرفت أنك قادرة على النجاح وعلى كسب مودة هؤلاء الناس. أنا سعيدة جداً لكما. والآن من المؤكد أن أوليفيا تشعر بتحسّن.

- أرجو ذلك، فأنا أتصل بك لسبب محدد. سوف نقيم مراسم زواجنا في الكنيسة غداً مساء أنا ونك.

- هذا خبر رائع! سنسافر إلى ماربيلا في الصباح، ونساعدك لتكوني جاهزة. هل لديك ثوب زفاف؟

اشتدت قبضة بايبر على الهاتف، ثم أجابت: «فكرت أن أرتدي الفستان الأبيض المصنوع من قماش الشيفون، الذي ارتديته من قبل».

ردّت غريس بنبرة خشنة: «لا. بايبر هذا ليس جيداً بحق زوجك. سنذهب للتسوق غداً، ونبتاع لكِ الفستان الأروع على سطح الأرض. سيصاب نك بالذهول حين يراك تتوجهين نحو المذبح».

أخذت بايبر نفساً عميقاً. يجب أن يكون مغرماً بها كي يصيبه الذهول! لكنها لم تتفوّه بذلك أمام غريس. ليس الآن على أي حال.

- بالطبع، أحتاج إلى المساعدة.

شعرت بايبر أنها تكاد تختنق بدموعها. في الواقع، اشتاقت إلى أختيها كثيراً منذ شهر آب الماضي. أضافت: «أتحرق شوقاً كي أمضي وقتاً إضافياً معك ومع أوليفيا».

- نحن أيضاً. لم يكن من المجدي لك أن تعيشي في نيويورك. الكل للفرد، والفرد للكل. أتذكرين؟

ضحكت بايبر بالرغم من دموعها، وأجابت: «هل يمكنني أن أنسى؟».

- حين نجتمع، يمكننا التحدث أكثر ومعرفة ما حدث بالتفصيل. نريد أن نعرف كل شيء عن ردّة فعل كاميلا.

- نعم. ثمة القليل للتحدث عنه في ذلك الشأن.

- آه! أشك في ذلك... إذاً...

عادت غريس إلى نبرة صوتها العادية، فقالت: «والآن، بعد أن علق دون جوان عائلة باسترانا الساحر بين يديك، ماذا تشعرين حيال مسؤوليتك هذه؟».

ليت ذلك صحيحاً!

- ما زلت مصدومة نوعاً ما.

- أعرف ما الذي تقصدينه. أحياناً حين أنظر إلى ماكس، وأدرك بحق أنه زوجي، لا أصدق هذا أنا أيضاً. هل قلت لكِ إنني أحبه أكثر من أي وقت مضى؟

- آه! لابد أن ماكس يقف بجانبك تماماً.

- هو كذلك. عليكِ أن تري مدى لطافة لوك مع أوليفيا، لا سيما أنها حامل الآن. حين التقينا به على متن البتسيوني، هل تخيلت أنه سيأتي يوم تناديه فيه أوليفيا حبيبي؟

- لا تجبريني على التكلم غريس...

تنحنحت بايبر، وأجابت: «...ليس أكثر من قدرتي على التذكر

أنك كنت تنادين ماكس الزنجي الأكبر».

- هممم... لا يزال يستحق اللقب أحياناً.

- هل قلت لك إنني بدأت بتصميم روزنامة جديدة تحت عنوان: «حيوانات مفترسة من البحر الأبيض المتوسط؟ ثمة قرش كبير أسود أسميته ماكسيميليانو على لوحة شهر تموز. كل أسماك القرش الإناث مولعات به. لكنه لا يكفّ عن السباحة حول الدلفينة الشقراء المراوغة المسمّاة بانسي أيز، وهذه الأخيرة ترفض أن تقضي وقتاً معه».

ضحكت غريس في سرها قبل أن تسمعها بايبر تخبر الآخرين بالأمر، ثم قهقه الجميع.

حين عادت غريس، قالت: «يشعر لوك أنه مهمل».

- أخبريه أن ليس عليه أن يقلق. اخترت لشهر آب الأخطبوط لوكاس موناغاسك ذا المجسّ المجروح. تتقاتل جميع الأخطبوطات لكي يحظين باهتمامه، أما هو فجل انتباهه منصب على الدلفينة الشقراء الرشيقة ذات العينين الزرقاوين، التي تسبح بسرعة فائقة مقارنة به.

- أنا متحمّسة جداً لأرى رسوماتك. انتظري دقيقة واحدة.

هذا ما قالته غريس كي تخبر الجميع أيضاً بما سمعته أخيراً. ثم سُمعت ضحكات أخرى.

سمعت بايبر صوتاً أجش بالقرب منها يقول: «أأنا وارد في مفكرتك أيضاً؟».

٧ ــ مكيدة على الشاطئ

نك . . . !

كم مضى من الوقت وهو يقف هناك؟ انحرف رأس بايبر نحوه.

ثنى نك ذراعيه. وسألها: «وإلى أي نوع من السمك ارتأيت تحويلي؟».

- نيكولاس، الراي الأندلسي اللسّاع الذي يستطيع ذيله الذي يشبه السوط أن يطلق سماً بست طرق مختلفة. كنت الخيار الأفضل لشهر شباط، شهر الرومنسية. بالرغم من أن الأسماك الإناث من جنسك لا تكف عن ملاحقتك، لكنها تعرف جيداً كيف تبقى بمنأى عنك بعد أن أرعبت دلفينة شقراء عاجزة عن الدفاع. . .

- بايبر آه. . . بايبر. . . أنا ما زلت على الخط. . .

آه. . . !

غمر الشعور بالخجل بايبر، لكنها أكملت حديثها على الهاتف مرة أخرى قائلة: «أنا آسفة، غريس. دخل نك لتوه وبطبيعة الحال، أراد أن يسمع كل التفاصيل عنه».

ضحكت بايبر في سرها، لكن لسبب ما لم يعد نك يبتسم.

قالت غريس: «الوقت متأخر، وأنا متأكدة أن نك يريدك لنفسه الآن، لذا سأتمنى لك ليلة سعيدة».

- ليس علي إقفال الخط.

- بلى. عليك ذلك.

يبدو أن غريس محقّة، فقد تحوّل مزاج نك إلى التجهم التام.

ردت بايبر: «تمنّي لأوليفيا ليلة سعيدة. أراكما غداً».

- سنكون هناك في الصباح، عند الساعة العاشرة والنصف على أبعد تقدير.

- سأكون جاهزة. ليلة سعيدة.

سألها نك حين أقفلت الخط: «جاهزة لماذا؟».

- سنذهب نحن الفتيات الثلاثة للتبضع بغية شراء فستان الزفاف.

للحظة واحدة، ظنت بايبر أن تعليقها ذاك أراح نك، إلى أن سألها: «فكرة من هذه؟».

نهضت بايبر عن حافة السرير، وأجابت بفرح عظيم: «فكرة غريس. هي تحاول أن تلعب دور أمي الآن. حتى الآن، تسير تمثيليتنا بشكل جيد. أختاي تعتقدان أننا مغرمان ببعضنا حقاً. ظننت أن هذا ما تريده، لكن من الواضح أن ثمة خطب ما».

ردّ نك: «هذا صحيح تماماً».

ثم أردف: «تكلمت مع الكاهن لتوّي. سيجري زفافنا في الموعد المحدد، وستكون عمّاتي وخالاتي وأزواجهن هنا ليحتلفوا معنا».

عبست بايبر وقالت: «لكنك ما زلت غاضباً. هل حصل تقدم ما في القضية؟».

- ليس على حد علمي.

- إذاً ما الذي يزعجك؟

- لا أظن أنني أحب تشبيهي بالرّاي اللسّاع.

انتفضت بايبر، وسألته: «لِمَ لا؟».

لكنها عاشت معه لمدة أسبوع كامل، وتوصّلت إلى معرفة مزاجه المتقلب. لابد أن أمراً هاماً يجول في خاطره وهو لا ينوي مشاركتها به. أضافت: «هو أحد مخلوقات المحيط الأكثر رهبة».

علق نك محلّلاً كلامها: «الأكثر رهبة قد تُترجم. . . يصعب

المنال».

يبدو إذاً أن تعليقها أغضبه، جعلها ذلك تشعر بالتسلية نوعاً ما.

- حين خلق الله الأسماك، منَّ عليها بوسائل دفاعية خاصة بها. القدرة على المقاومة هي الفكرة التي تتمحور حولها حياة سمكة الراي اللسّاعة.

قال نك بصوت أجش: «بايبر! يوم زفاف ماكس، لم أرفضك لأنني أردت ذلك».

تجمّد جسد بايبر، وقالت: «أعرف تماماً لماذا فعلت ما فعلته، فالابن الشهم لسيّد عائلة باسترانا يحترم التزامه الرفيع».

حرك نك شفتيه، لكن بايبر أكملت كلامها: «أنشأت درعاً لا يمكن اختراقه كي تخفي حقيقة أنك مغرم بامرأة أخرى في الوقت نفسه».

بعد وقفة قصيرة، قال نك: «هذا صحيح، لكنكِ آخر شخص أود أن أسبب له الأذى».

صراحة نك الموجعة فتتتها إلى ذرات متناثرة.

- أعترف أن رفضك لي لدغ اعتزازي بنفسي. أعرف أنني أتلاعب بالكلام. لكن كما ترى، لم يحصل أي أذى دائم.

وضعت بايبر ابتسامة عريضة على وجهها، وأردفت: «من خلال العيش معك، وجدت أنك أروع ابن عم لزوجي أختي في العالم... حالما ينتهي زواجنا بالطبع».

التوى فم نك، وقال: «ألست تستبقين الأمور؟».

- لا أظن. لدي عمل أديره في نيويورك. لِمَ لا تسرع وتستعد للنوم، كي نستطيع التفكير بأفضل طريقة لكسب صداقة كاميلا؟.

- لست متأكداً من نوايا كاميلا. فاجأتني الليلة بما قالته.

صعدت بايبر إلى السرير وغطّت نفسها بعد أن أدارت ظهرها نحو جهة نك. بعدئذٍ أطفأ نك الأضواء وصعد إلى الجهة الأخرى، إلا أنه

لم يتكلم على الفور، فوجدت نفسها تحثّه على تقديم تفسير.

- إذا كنتِ تريدين معرفة الحقيقة، فقد تفوّهت كاميلا بآخر شيء توقعت منها أن تقوله.

استدارت بايبر إلى الجهة الأخرى كي تستطيع رؤية وجهه. حركتها هذه جعلتها تتدحرج نحوه. أطلقت أنيناً خفيفاً، وابتعدت عنه، ثم جلست.

- م... ماذا قالت لك؟

استلقى نك على ظهره واضعاً يديه خلف رأسه فلاحظت أنه يرتدي بيجامة الرياضة. لكنه بدا قريباً جداً وذلك لم يساعدها في السيطرة على توازنها. أجاب نك: «بعد أن دعوتها كي تحضر مراسم زفافنا مساء الغد مع والديها، قالت إنها تحب أن تحضر. ثم عانقتني وشكرتني على مساعدتي لها بإخراجها من المشكلة مع أهلها».

زمّت بايبر شفتيها وقالت: «ذلك أمر غير متوقع، لكنني لست واثقة أنني أصدّقها. ربما تكون هذه الطريقة الوحيدة التي أمكنها أن تستخدمها كي تحفظ ماء وجهها معك».

- ربما...!

- هل تقصد أن كاميلا كانت تتظاهر بعكس الحقيقة أمام العائلتين خلال السنة الماضية؟

- لا أعرف تماماً.

أصبحت أفكار بايبر مضطربة. سألته: «أهي من النوع الذي يبدي احتراماً لتوقعات الأهل؟»

أجاب نك بصوت أجش: «كانت خطوبتي من نينا كذبة من البداية حتى النهاية».

- هي كذبة محترمة إذاً. إذاً كانت هذه حقيقة كاميلا أيضاً، فذلك يعني أن زواجنا حرّرها. يبدو الأمر سيئاً لو كانت مغرمة بك مع علمها أنك لست مغرماً بها. لكن أن تتزوج بك، فيما هي تعتقد أنك

متيّم بحب أختها... هذا ما لا أستطيع أتخيله.

صدر صوت من حنجرة نك. وردّ قائلاً: «ما كان هذا ليحدث».

- إذا كانت تعني ما قالته هذا المساء، فهل تظن أن ذلك سيجعلها ودودة أكثر معي أم العكس؟

- سنكتشف ذلك حين تبدأين برسم اللوحة التي طلبها منك أبي. في الأسبوع المقبل، سوف أهاتف بينيتو كي أعدّ الترتيبات.

- في الأسبوع المقبل... لِمَ لا تبدأ الآن؟

- لأن العائلتين تفترضان أننا نحتاج إلى أكبر قدر ممكن من الوقت معاً. سيُدهشون إذا سمحنا بأي تطفل قبل انتهاء هذا الأسبوع.

من المستحيل رفض المنطق الذي يتكلم به نك. لم يكن لبايبر خيار إلا أن تسير مع التيار.

تحرك نك باتجاهها، فغمرتها هالته الجذابة. قال: «كان تصرفاً ذكياً منك أن قمت باقتراح استخدام الفيلا الخاصة بهم كخلفية للصورة».

قربه منها جعل قلبها يقفز من مكانه، لذا سرعان ما استعادت وضعيتها البعيدة عنه.

- معظم الناس يشعرون بارتياح أكبر إذا تم رسمهم في منازلهم. ربما أستطيع أن أقترح أن تكون كاميلا متواجدة في اللوحة أيضاً.

- فكرة رائعة، يا زوجتي!

زوجته! يا لها من مزحة!

- سنرى. بالرغم من ذلك، أنا لا أعلق آمالاً على أنها سوف تحبني.

- أنا أعتمد على فضولها لتعرف عنك، وبذلك تستطيعين استخراج أفضل ما يمكنك منها.

- ما من شك أنها كانت المؤتمنة على أسرار نينا. لا أظن أن نينا أبقت علاقتها مع لارس سرّاً عميقاً، فالنساء يثرثرن، لاسيما الأخوات

القريبات من أعمار بعضهن.

تشدّق نك قائلاً: «هذا ما اكتشفته منذ أن التقيت توائم عائلة داتشس الثلاث».

وأضاف: «والآن بعد أن وطأت قدمك القارة الأوربية، على ابني عمي أن يقبلوا بمشاركة زوجتيهما مجدداً معك».

أخذ مزاج نك المتجهم يتبدّد رويداً رويداً.

- هذا صحيح. فالنساء يثرثرن والرجال يبادرون إلى التصرف.

ضحك نك في سره. وقال: «لا أظن أن ذلك الشعار موجود على أي من الروزنامات التي رأيتها».

- لا.

- لماذا؟

- لأنه خطر ببالي لتوه. الشعارات هي في العادة من اختصاص غريس.

- لِمَ تعتبرينها المسؤولة دوماً؟

- منذ زمن طويل، أوليفيا وأنا نؤمن أن غريس هي دائماً على صواب.

علت ضحكة نك.

- أنت لا تعرف غير الضحك. أنت طفل وحيد، وليس عليك أبداً أن تفكر بترتيبك في شجرة العائلة. أما أن تكون أحد التوائم الثلاث فذلك يعقّد الأمر أكثر.

- أن تكوني الطفل الوحيد حقيقة لها تعقيداتها الخاصة، فمحاولة تحقيق رغبات والديك هو أمر يؤخذ بالاعتبار.

وخزتها عيناها ندماً بعد أن فكرت بالعبء الذي يحمله نك.

- أصبت. قررت أن أسدي إليك خدمة وأتوقف عن الكلام. ليلة سعيدة، نك.

* * *

- هذا هو!

بدت أختا بايبر عازمتين أشد العزم، فعرفت بايبر أن مهمة التفتيش عن فستان زفافها قد أنجزت.

نظرت بايبر إلى صورتها مجدداً في المرايا الطويلة، بدت متألقة بفستان حريري يتوهج بتألق، وينتهي بذيل مزين بالدانتيل ومرصّع باللآلئ. بدت كالأميرة، لكنها لم تشعر أنها كذلك قط.

- لونه هو لون لؤلؤتك نفسها.

- بقي علي اختيار الخمار.

- فستانك إيطالي، لذا فأنت بحاجة إلى خمار من الطراز الإسباني.

أطلقت أوليفيا أصواتاً تدل على حماسها، وأضافت: «سأعود بعد قليل».

سألتها غريس حين أصبحتا لوحدهما: «لماذا أراك متوترة جداً؟».

- لست متوترة.

- بل أنتِ كذلك، فأنت متشنجة وخداك متوردان. هل أنتِ متأكدة أنك تزوجت في نيويورك؟

- غريس...!

- أنا أسخر منك فحسب. عليك الاعتراف أنك تتصرفين بغرابة نهار زفافك. تعرفين ما أعنيه.

- هذا سخيف، فأنا امرأة متزوجة منذ ثلاثة أيام.

- كيف يُعقل أنكما لستما في شهر العسل؟ كان بإمكانكما أن تقضيا تلك الفترة قبل أن تواجها أياً منّا.

استدارت بايبر بعيداً عن أختها. وأجابت: «تعرفين أن نك حريص ومنطقي».

- ليس حين يتعلق الأمر بحصوله على ما يريده فعلاً. أرادك أنتِ، وأنهى فترة حداده الرسمية قبل أسبوع من انتهائها رسمياً كي يلحق

بكِ. فما الذي حصل؟

- لا شيء!

- هل نسيتِ أنني أرى وجهك في المرآة؟ أنت تكذبين. نحن أختاك. تستطيعين إخبارنا بكل شيء.

توسّلت غريس إليها قائلة: «أرجوك! أخبرينا كل شيء».

دخلت أوليفيا مجدداً إلى غرفة القياس حاملة بين ذراعيها خماراً طويلاً من الدانتيل. أضافت غريس: «لم تستطيعي أن تسيطري على غضبك منذ الصباح، وكأنك لستِ أنتِ».

- أنا آسفة.

أشارت أوليفيا إلى غريس، فقامتا بوضع الخمار على رأس بايبر.

- سوف يصاب نك بالدهشة حين يراك.

زفاف في الكنيسة! لا تستطيع أن تتحمل ذلك.

أمسكت أوليفيا وغريس ببايبر وسألتاها: «ما خطبك؟».

غمغمت أوليفيا بعطف: «تبدين صفراء مثلي تماماً حين أشعر باعتلال في الصباح».

- لقد... نسيت أن أتناول الفطور.

هزت غريس رأسها يساراً ويميناً. وعلقت قائلة: «ليس هذا سبب مرضك. هيا! أخبرينا الحقيقة. نعرف أنك لست حاملاً. ونعرف أيضاً أنك ونك متيمان ببعضكما، فلِمَ لا تبدين مبتهجة؟».

ابتلعت بايبر ريقها متجنبة نظراتهما المشككة، وأجابت: «إنني لا أرى ضرورة لإجراء مراسم الزفاف مرة أخرى».

برّرت أوليفا قائلة: «لكننا نريد أن نسمع النذور المتبادلة».

- لقد قلناها مسبقاً.

- ليس في الكنيسة.

عبست غريس بحاجبيها الأنيقين. وسألت بايبر: «لِمَ تخيفك فكرة الزواج في الكنيسة؟».

اندفعت بايبر قائلة: «هل قلت ذلك؟».

سألتها أوليفيا: «هل هذا صحيح؟».

وأردفت: «هل تخشين ألا يدوم زواجك؟».

هزّت غريس رأسها وقالت: «هذا هو السبب!».

وأكملت: «ما الذي يجعلكِ تظنين أنّك لن تبقي مع نك إلى الأبد؟ هل لكاميلا علاقة بالموضوع؟».

- لا!

- هذا جواب قاطع. هل هدّدك بطريقة ما؟

- لا. ليس الأمر كما تظنّان.

- إذاً أخبرينا، لأننا لن نغادر هذه الغرفة قبل أن نسمع الحقيقة كاملة.

رفعت بايبر رأسها. لم تستطع إخفاء أسرارها وقتاً أطول، فيما الدموع تنهمر على خدّيها، قالت: «الأمر مروّع... أعني إنه مروّع أكثر مما تتخيلان».

قالت إحداهما: «لا يمكننا أن نتكلم هنا. هيا! سنطلب من البائعة أن تجهّز كل شيء، وسنعود لاحقاً».

فيما أزالت غريس الخمار، بدأت أوليفيا بفك الأزرار. بعدئذٍ ارتدت بايبر قميصها وأسرعت إلى سيارة نك السوداء.

مع انضمام أختيها إليها، كانت بايبر قد استعادت قواها لتخبرهما بكل شيء.

- كان من الممكن أن يلقوا حتفهم جميعاً في حادثة الترام.

ارتجف صوت أوليفيا، ثم أكملت: «والآن أنتِ في خطر».

- لا تقلقي. وظّف نك رجال أمن لحمايتنا جميعاً طوال الوقت.

سألتها غريس مستفسرة: «ماذا تعنين بقولك "جميعاً"؟ هل نحن مراقبون أيضاً؟».

- نعم.

- أتعنين في هذه اللحظة؟

- نعم.

هزّت غريس رأسها يميناً ويساراً. وعلّقت قائلة: «ليس من حق نك أن يطلب هذا منك، ليس قبل أن تثبت الشرطة أن لارس قتل نينا. الآن بعد أن أصبحت زوجته، قد يلحقك ذلك الوحش!».

- لم يجبرني نك على الزواج به.

همهمت غريس ببرودة: «بطريقة ما، فعل ذلك. عرف أنك ستهرعين إلى إنقاذنا. لا أصدّق أن زوجينا أخفيا هذه الحقيقة عنا».

- هذا لأنهما يحبانكما كثيراً، ولا يريدانكما أن تقلقا على أي شيء أبداً. فكرا بالأمر لدقيقة. هل كانت أي منكما ستقوم بأقل من هذا لو كانت مكاني؟

حدّقت الشقيقات الثلاث ببعضهن لوقت طويل من دون أن ينبسن ببنت شفة، لأنهن عرفن جيداً الجواب على ذاك السؤال.

- لا تصبّا الغضب عليهما أو على نك. لا يستطيع نك مداراة حقيقة أنه مغرم بفتاة أخرى. في البدء لم أصدّقه، لكن بالعودة إلى ما حصل سابقاً، لو أنه يحبني حقاً، لفعل شيئاً حيال الموضوع في اليوم الذي تزوجت فيه غريس. أنا خائفة من هذا الحفل المزيف في الكنيسة. حين نتبادل النذور أمام الكاهن، أعرف أن نذور نك ستكون مجرد كذبة. حالما يلقى القبض على لارس وشركائه، سنلغي زواجنا.

بدا الأسى في عيني غريس حين قالت: «ألم يحاول حقاً أن يقيم علاقة حميمة معك حتى في الليلة السابقة؟».

- لا، كل ما كان عليه فعله هو الاقتراب مني بضعة إنشات في الليل. أظن أن السؤال هو: هل سيسامحني الله إذا قلت النذور في الكنيسة وأنا أعرف أنها لا تعني له شيئاً؟

طمأنتها أوليفيا قائلة: «بالطبع أيتها السخيفة».

أعلنت غريس: «هذا ليس بيت القصيد. استخدمك نك ليتملّص

من قبضة أبيه، والآن يتوقع منك أن تتجسّسي لصالحه».

- غريس! وافقت على هذا الأمر لأنني أحبه، لذا دعينا لا نتطرق إلى ذلك. والآن بعد أن تحرّرت من هذا العبء عبر إفشائه، أشعر بتحسن أكبر. حين نعود إلى الفيلا، عليكما أن تتظاهرا بعدم معرفتكما بأي شيء مطلقاً. هل تقسمان على المحافظة على هذا السر؟

قالتا معاً: «نقسم بذلك».

- هذا جيد، لأن نك يحبّكما أيضاً. وعدني إنه لن يحصل مكروه لأي منكما، وأنا أصدقه. إنه رجل نبيل جداً، وفارس شهم. إن رجلاً آخر كان ليستغل الظرف. نك يحافظ حقاً على شرفه. المرأة التي تملك قلبه هي الأوفر حظاً على الأرض.

- هل تعرفين من هي؟

- إما إنها امرأة متزوجة، أو هي محررة كتابه كونسويلا مانور.

لأول مرة في حياتهن، انهارت غريس وأجهشت بالبكاء. قالت: «كيف يُعقل ألاّ يحبك نك؟ أسامحه على أي شيء إلا ذلك، فأنت رائعة، ولطيفة، ووفية».

لم تصدق بايبر ما يحصل. أختها الكبرى تبكي على حالتها.

- لا تنزعجي لحالتي. يوماً ما سألتقي الرجل المناسب الذي سيحبني بالطريقة التي يحبكما بها ماكس ولوك. سوف يأتي ذلك اليوم. لِمَ تتوقعان أن يحقق صندوق الزوج ثلاث معجزات معاً؟

بعد ذلك، أخذت أوليفيا تذرف الدموع أيضاً. حاولتا أن تضحكا لكنهما لم تقدرا. بدا من الغرابة أن تشعر بايبر أنها أفضل حالاً منهما، لأنها تحررت من عبئها.

- سأدخل لأحضر فستان زفافي. سأعود في الحال.

- ستحتاجين إلى المساعدة.

بعد تجفيف دموعهما، خرجت أختاها لتنضما إليها في متجر العرائس. حين وضّبت كل شيء في السيارة، استدارت غريس نحو

بايبر.

- هل اشتريت خاتماً لنك؟

- لا. هذا سيجعل الأمور تبدو حقيقية أكثر.

- اعتبري الأمر مسألة حياة أو موت. عليك أن تجعلي هذا الأمر يبدو حقيقياً قدر المستطاع. رأيت متجر مجوهرات على بعد ميل واحد في الجهة الخلفية على الطريق نفسها.

- أتذكره.

شغّلت أوليفيا محرك السيارة، فهي من تولت القيادة. صعدت بايبر إلى جانبها فيما جلست غريس في الخلف.

بدا أن إيجاد مكان لركن السيارة مستحيل في قلب ماربيلا. قالت أوليفيا إنها ستلتف حول مجمع المباني، فيما خرجت بايبر من السيارة وأسرعت إلى متجر المجوهرات.

حين قالت للبائع إنها تريد خاتم زفاف لرجل يطابق الصياغة الموجودة على خاتمها، راح الرجل يتصرف بغرابة كبيرة. سألها: «من أين حصلت على ذاك الخاتم المرصع باللآلئ؟».

آه...! لم يكن أمام بايبر خيار آخر غير أن تخبره أنها السينيورا دي باسترانا، العروس الجديدة لنيكولاس دي باسترانا. أجابت: «استرجع زوجي الخاتم المسروق من مجموعة ماري لويز. والآن أريد أن أشتري خاتماً مطابقاً لزوجي كي أفاجئه».

عند تلك الإجابة، لم يستطع البائع إلا أن يهلل فرحاً. بعدئذٍ تمت معاملة بايبر معاملة الأميرات، وبعد قليل خرجت من المتجر وهي تحمل خاتماً مشابهاً تماماً لخاتمها.

عندما رجعت إلى السيارة، رمقتها غريس بنظرة، وقالت: «أوليفيا وأنا نريد أن ندعوك إلى وجبة خفيفة قبل الزفاف في بورتو بانوس. اصطحبنا نك في الشهر الماضي إلى مطعم يسمّى بيدروز بيتش يقدم أشهى الأطباق البحرية التي تذوّقتها في حياتي. ما رأيك؟».

شعرت بايبر بسعادة كبرى لأن أختيها عرفتا الحقيقة كاملة، فاستعادت شهيتها. أجابت: «أود ذلك».

وصلت الفتيات إلى المرفأ المليء باليخوت البيضاء المتلألئة. أشارت أوليفيا إلى أحد اليخوت البعيدة، المسمى خوان كارلوس، وقالت: «هذا هو يخت عائلة باسترانا، وهو رائع جداً».

بالطبع! فأي شيء له علاقة بنك وابني عمه هو أروع من الخيال.

بدا كأن أوليفيا تملك راداراً سحرياً تعرف بواسطته أين يمكنها أن تجد موقفاً للسيارة في المساحات المكتظة التي تحيط بالشاطئ.

حين وضعت بايبر يدها على قبضة الباب، رأت شيئاً صدمها كثيراً، فصاحت: «أيتها الفتاتان... لا تخرجا الآن من السيارة!».

حدقت أختاها بها، فيما ظهرت الدهشة على وجهيهما.

- انظرا إلى ذلك الثنائي على الرصيف البحري بالقرب من اليخت المسمّى بريتانيا وذراعاهما متشابكان. إنهما كاميلا ولارس! أراني نك صوراً له. لابد أنه الشخص نفسه مع بنيته تلك ولون شعره.

شهقت أوليفيا، وقالت: «آه، يا إلهي!».

سألتها بايبر وغريس في الوقت نفسه: «ماذا؟».

- إنه الشخص نفسه الذي حاول أن يصطحبني إلى المقهى الليلي في موتيريسّو في شهر آب الماضي! تذكرته الآن. كان اسمه لارس!

صاحت بايبر: «هل أنتِ متأكدة؟».

اصفر وجهها وأجابت: «نعم. كان مع مجموعة من الألمان والكرواتيين. جعلوني أشارك في أحدى الألعاب، وقبلت ذلك كي أثير غيرة لوك، لكنني عرفت أن هدف لارس هو كسب المال، فسبحت مجدداً إلى يخت غابيانو. لحقني لارس وأمسك بقدمي عندما تسلقت السلم، لكن لوك أخافه فابتعد».

تشابك حاجبا غريس في عبوس شديد، وسألتها: «هل تظنين أنه كان يلاحقك ولوك؟».

- لا. كان على الشاطئ ولم يكن ليعلم أنني سأطلب من نك أن يبحر بالقارب إلى هناك في اللحظة الأخيرة.

قدّرت بايبر قائلة: «أراهن على أن موتيريسّو هو المكان المفضل لعصابة الأشرار هذه. هو ليس بعيداً عن كولورنو حيث سُرقت المجموعة».

حذرتهما غريس قائلة: «أيتها الفتاتان... لارس يتوجه إلى يخت بريتانيا، وكاميلا أخذت تسير نحو الموقف. أخفضا رأسيكما».

ظلت بايبر ترفع رأسها من حين إلى آخر إلى حد يكفي لاقتفاء أثر تقدم كاميلا. بعد بضع دقائق، رأتها تنطلق بعيداً بسيارة زرقاء داكنة.

- حسناً! لقد غادرت.

رفعت أختاها رأسيهما مجدداً.

نظرت بايبر إليهما، وقالت: «علي أن أتصل بنك، وأخبره بما رأيت، لكنني لا أريده أن يعلم أنكما تعرفان شيئاً. أقسمت على أن أبقي المسألة سرية».

ردت أوليفيا: «ما من مشكلة. ثمة رجال أمن يؤمنون لنا الحماية، كما سبق أن قلت، أليس كذلك؟».

- نعم. دعوني أكلمه قبل أن ننطلق، أريده أن يظنني بمفردي.

هزت أختاها رأسيهما موافقتين.

تناولت بايبر هاتفها الخليوي الجديد، وضغطت على الرقم الأول.

* * *

- وضعنا الشموع في الشمعدان. كل شيء جاهز للحفلة، سينيور.

صافح نك يد منسق الأزهار، وقال: «أقدر مساعدتك. عروسي تحب الورود. ستُسر كثيراً حين ترى الطريقة التي نسقتها بها».

- شكراً.

صعد الرجال إلى العربة، وانطلقوا بعيداً. أقفل نك أبواب

الكنيسة. وبعد أن صعد بنفسه إلى سيارته، اكتشف أن هاتفه الخليوي الذي تركه على المقعد يرن. تفحص هوية المتصل، فإذا هي زوجته.

- بايبر، هل أنتِ مع شقيقتيك؟

همست بايبر: «نك... اسمع ما سأقوله».

لم يكن نك يسمعها بوضوح.

- نك! لارس هو الآن في بورتو بانوس.

كاد هذا الخبر يدفع بنك إلى إسقاط الهاتف من يده.

- كانت كاميلا برفقته. كانا يقفان بجانب يخت متوسط الحجم اسمه بريتانيا، ويتصرّفان كحبيبين. والآن غادر لارس عليه، وانطلقت هي في سيارتها.

تلك الكلمات رفعت مستوى الأدرينالين في جسد نك.

سألها: «هل تظنين أنه تمكن من رؤيتكن؟».

- لا. المكان مكتظ بالناس.

- الحمد لله! غادِرن المكان وتعالين إلى الفيلا مباشرة. سأراك في المنزل بعد بضع دقائق.

حالما اتصل نك بالسيد بارزيني ونقل إليه آخر الأخبار، توجه نحو الفيلا حيث كان ماكس ولوك يقومان بعدة دورات في المسبح.

في اللحظة التي سمعا فيها عن لارس وكاميلا، خرجا من المياه لعقد اجتماع.

شرح لهما نك قائلاً: «ستصل الفتيات إلى هنا في أي لحظة. ليس لدينا متسع من الوقت».

ثم أضاف: «برأيي استخدم لارس نينا كي يسرق مجموعة ماري لويز. أظنها كانت فريسة بريئة. وحين لم يعد يعرف منها أي معلومات إضافية عن مجوهرات عائلة باسترانا، أبعدها عن طريقه وبدأ العمل مع كاميلا».

ظهرت الخطوط بوضوح على جبهة ماكس، وقال: «حين ينتهي

لارس من استخدامها، سوف يضحي بها أيضاً».

رمى لوك المنشفة التي كان يستعملها على الكرسي. وقال: «إذا كانت كاميلا تصدق أن لارس يحبها، فعلى الأرجح أنها هرعت كي تخبره بأنها حرة للزواج به».

- زيارتها تدل على أنها تعرف أن بايبر وأنا سوف نتزوج في حفلة خاصة هذا المساء.

هز ماكس رأسه موافقاً، وأضاف: «إذا كان لارس يستلقي على يخت بريتانيا بانتظار الوقت المناسب لسرقة المجوهرات، فالليلة هي الفرصة الأمثل. كلنا سنكون مجتمعين في الكنيسة».

قال نك فيما ظهرت على وجهه ابتسامة شريرة: «نعم. بينما تجري مراسم الزفاف كما هو متوقع، ثمة فرقة ستكون بانتظار لارس عند القصر. إذا لم يأتِ ستداهمه الشرطة على اليخت».

- لنذهب إلى المكتبة ونرتب الخطط الضرورية قبل أن تأتي الفتيات إلى هنا.

من بين أمور أخرى، أراد نك أن يتفحص صحة سير التفاصيل الأخيرة لشهر عسله، فهو لا ينوي إلغاء الزواج.

بعد بضع دقائق، سمع أصواتاً في البهو تنبئ بوصول الفتيات. خرج كي يساعد بايبر على حمل حقيبة الثياب إلى غرفة نومهما.

حالما أقفل الباب، أخذت بايبر الحقيبة من نك وعلّقتها في الخزانة. وحين خرجت منها، قالت: «هل تظن أن الشرطة أوقفت لارس؟ إذا لم يفعلوا، يمكننا أن نلغي الزفاف».

أخذ نك نفساً عميقاً وأجاب: «هذا هو الشيء الوحيد الذي لا يمكننا فعله. بفضلكِ حبيبتي، حصلت الشرطة على الخيوط الأولى الحقيقية في هذه القضية. إنهم يخططون لعملية ذكية هذه الليلة».

- أنت تمزح!

- لا. فيما تجري مراسم الزفاف كما هو مخطط مع كل من نحب

بسلام في الكنيسة، يتوقع السيد بارزيني أن يلقي القبض على لارس وعصابته وهم يحاولون سرقة ماس عائلة باسترانا من مخبأ أبي السري في القصر.

- ماذا لو لم يأتِ؟

- تمت مراقبة اليخت. بطريقة أو بأخرى، سيلقون القبض عليه. أنت تعتبرين بطلة، ليس من قِبل عائلتي فحسب، بل من قِبل القوانين الدولية أيضاً.

- أنا لست بطلة. كل ما أريده هو العودة مجدداً إلى نيويورك.

- حسناً! لن تعودي الليلة.

تعمدت بايبر أن تتجنب عيني نك. قالت: «بالطبع لا».

رآها نك تبحث عن شيء ما في حقيبتها.

- خذ. بما أننا سنقيم مراسم الزفاف، عليك أن تعرف ما إذا كان مناسباً. لا أريد أن أبدو مضحكة أمام الجميع وأنا أشدّه إلى إصبعك.

أخذ نك العلبة الصغيرة منها وفتحها ليجد فيها خاتم زفاف له. لكنه بدا مختلفاً عن كل ما رآه. اختارت بايبر خاتماً يتميز بزركشة الذهب الموجودة على خاتمها نفسه.

جاء نقد بايبر الأول بقصد النيل من نك.

- ستتلقى أنت الفاتورة، وأخشى أنها باهظة لأن البائع تعرف على لؤلؤة عائلة بارما. كان على وشك أن يتصل بالشرطة، فاضطررت لإخباره أنني زوجتك، وأنك استرجعت جزءاً من مجموعة ماري لويز المسروقة من المزاد العلني في لندن. غريس أصرت على أن أشتري لك خاتماً. كما قلت لك سابقاً، هي تحاول أن تلعب دور الأم.

أردفت بايبر: «لحسن الحظ أن ازدحام السير منعنا من إيجاد موقف للسيارة، لذا طلبت من أختيّ أن تدورا بالسيارة حول مجمّع المباني، فيما أدخل إلى المتجر، وهكذا لم تعرفا أنني لم أدفع له ثمن الخاتم».

أكملت: «أصرتا أن يكون فستان زفافي هدية منهما، لأن أمي ليست موجودة معنا لتقدم واجباتها. الحمد لله إنك لن تتلقى فاتورة الفستان».

فيما راحت بايبر تتكلم، وضع نك الخاتم في إصبعه. حقيقة اختيارها لشيء فريد جداً يطابق خاتمها أثار المشاعر في قلبه.

- إنه يناسب إصبعي تماماً. سأحتفظ به دوماً.

- من الأفضل أن تعيده لي قبل أن ننسى، وتظهر في الكنيسة وأنت تضعه قبل الوقت الملائم.

أزاله نك من يده، وقال: «هل تريدين التمرن على وضعه في إصبعي الآن؟».

- لا تكن سخيفاً!

تلوّن خدا بايبر فيما انتشلته من كفه، وأعادته إلى العلبة. أضافت: «ما دمت لم تواجه مشكلة في وضعه، فأنا لا أشعر بالقلق. متى يجدر بنا أن نغادر إلى الكنيسة؟».

- عند الساعة الخامسة. تبدأ المراسم عند الخامسة والنصف.

- أي بعد ساعتين. أظن أنني سأنضم إلى أختي في المسبح قبل أن تساعداني على الاستعداد.

- فكرة رائعة. هذا سيعطيني وقتاً لأستحم وأرتدي ثيابي. بما أنك لم تتناولي الفطور والغداء، سأطلب من باكيتا أن تحضّر لك وجبة على الشرفة.

- شكراً.

استدارت بايبر وأسرعت نحو المرحاض. فيما كان نك يتكلم مع مدبرة المنزل، ظهرت بايبر مجدداً بثوب السباحة. مرّت بسرعة بجانبه، كأنه غير مرئي. لحق نك بها إلى الباب. من هناك، استطاع أن يمتّع نظره برشاقتها بينما غطست باحتراف في المياه.

٨ ــ زواج زائف، ولكن...

أوصلت الفتاتان بايبر من الفيلا إلى الكنيسة. بدت بايبر مرتبكة طوال الطريق بفستان زفافها المزركش. حتى الآن، كانت مستعدة لأن تقوم بكل ما بوسعها كي تنقذ الأشخاص الذين تحبهم، لكن قول النذور أمام الكاهن بدا لها مسألة أخرى أكثر أهمية.

من الواضح أن نك لا يشاركها هذا الرأي. سبق أن قال لها إنهما يستطيعان أن يلغيا الزواج حالما يتم القبض على لارس ويزول الخطر، أو يحافظا على زواجهما ويرزقا بطفل. بدا الوضع مثل لوحة غير مستقرة، وعرفت بايبر بالضبط ما خطب تلك الصورة. فإما أن تتجاهل نذورها، أو تعيش مع رجل لا يحبها.

لكن نك لن يستطيع فعل ذلك. فهو لم يتمكن من الحفاظ على خطوبته على نينا لأن قلبه منشغل بامرأة أخرى. وقلبه مازال كذلك الآن.

- أيتها الفتاتان؟ لا أستطيع القيام بذلك.
- عليك القيام به.
- نعم.
- من يقول ذلك؟
- كلنا.
- نك لا يحبني.

أطفأت أوليفيا محرك السيارة، وقالت: «ما علاقة هذا بالأمر؟».

وأضافت: «إذا أفسدت الأمر الآن، سوف تحولين دون نجاح العملية السرية».

استدارت غريس في مقعدها، ورمقتها بنظرة مركزة من عينيها البنفسجيتين، ثم قالت: «انسي أمر التملص من المواجهة، والعبي دورك كفتاة من عائلة داتشس».

المزيد من الابتزاز العاطفي!

- آه، حسناً! دعونا نقوم بذلك.

قامت غريس وأوليفيا بمساعدة بايبر كي تترجل من السيارة، ارتدت أوليفيا وغريس فستانين باللون الأصفر الباهت من قماش الكريب يصلان حتى الركبة، راحا يرفرفان في النسيم الهادئ.

- تبدوان رائعتين أيتها الفتاتان. لا عجب أن يتعلق بكما زوجاكما.

ضاقت عينا أوليفيا الزرقاوان، وردّت قائلة: «ليس عليك إلا أن تنتظري نك حتى يراكِ».

- لقد رآني بما يكفي، ولم يبدُ أنه يريدني. أعطيته الكثير من الفُر...

قطع ماكس كلامها: «ها قد وصلت».

بدا رائعاً كالمعتاد في بذلته التوكسيدو السوداء. كان يحمل باقتين من الورود البيضاء والصفراء أعطاها إلى أختيها. وقف لوك إلى جانبه مباشرة. بدا مُدهشاً كعادته أيضاً في بذلته التوكسيدو. ألقى باقة الزهور الصفراء المذهلة في يد بايبر اليسرى، وقال: «بدأ نك يشعر بالتوتر، وطلب منا أن نأتي ونعثر عليكن».

همست بايبر فيما عانقها صهراها: «لا أصدق أنه متوتر».

وأضافت: «أنت وماكس سوف تفسدان مظهري».

تجاهل لوك تعليقاتها وانضم إلى زوجته.

كانت الكنيسة تعج بأفراد العائلة وبالأصدقاء المقربين. أخذت

الفتاتان تمشيان في الممر متأبطتين ذراعي زوجيهما، فيما وقف المدعوون. في الواقع، حدق الجميع بالثنائيين الرائعين اللذين يقتربان من المذبح، فيما بدا الصمت موسيقى بحد ذاته.

بدأت بايبر تمشي في الممر، واستطاعت أن تتخيل كل فرد وهو يلتفت لرؤية مظهر عروس عائلة باسترانا التي تحمل في يدها اللؤلؤة الرائعة.

وقف نك إلى جانب الكاهن، متألقاً ببذلة توكسيدو سوداء رسمية مع زهرة صفراء على طيّة سترته.

ظنت بايبر أنه سينظر إليها، لكنه كان يحدق إلى الأمام مباشرة. إنه يقف كالأمير، ويداه مشبوكتان أمامه كأنه ينتظر ساعة خلاصه. مزّق الألم قلب بايبر...

رفع الكاهن الكبير السن يديه، مشيراً إلى وجوب جلوس الجميع على مقاعدهم. قال بلغة إنكليزية ممتازة: «عمّدت نيكولاس بعد ولادته فوراً، وعلى مر السنين راقبته وهو ينمو ويصبح رجلاً شريفاً يفتخر به والداه. بايبر داتشس باسترانا، أن يتزوجك رجلاً مرتين في الأسبوع نفسه فذلك يعبر عن الحب العميق الذي يكنه لكِ. أنا آسف لأن والديك ليسا هنا اليوم ليشهدا زواجك من نيكولاس، لكنني واثق أن روحيهما تحومان حولنا ليباركا هذا الزواج».

ثم أضاف: «دعي أختك تحمل أزهارك».

دنت بايبر منه أكثر، فيما أخذت أختها الأزهار من يدها.

- نيكولاس! أمسك بيد عروسك.

أمسكها نك بشدة، ما أثار شعوراً بالاحتراق على طوال ذراع بايبر وفي جسدها بأكمله.

- بايبر، طلب مني زوجك أن أتمّم المراسم باللغة اللاتينية، فهي تعني له الكثير. بالرغم من أنه متواضع جداً ليقول أي شيء، يسرّني أن أثني عليه كواحد من أعظم العلماء الأندلسيين. كل ما عليكِ فعله

هو أن تقولي نعم حين أتوقف.

أخيراً بدأت المراسم. لم تعرف بايبر حتى إذا كان ثمة جزء يجعلها تعد بأن تطيع زوجها أم لا. لم تهتم للأمر، لأن ما سمعته هو مجموعة غير مفهومة من الكلمات اللاتينية، سوف ينتهي مفعولها في وقت قصير. لاحظت أن الكاهن توقف عن الكلام. لابد أنه وصل إلى الوقفة المعروفة! اندفعت قائلة: «نعم».

قال الكاهن بضع كلمات أخرى عرفت معناها من خلال الإشارات التي تفيد أنهما أصبحا زوجاً وزوجة.

للمرة الأولى منذ دخولها إلى الكنيسة، استدار نك ونظر إليها. أدهشتها عيناه البنيتان اللامعتان.

قال بصوت عال كي يسمع الجميع: «أحبك».

ثم أخفض رأسه وعانقها. سألها بصوت عال أيضاً بعد أن رفع رأسه مجدداً: «هل تحبينني؟».

ماذا؟

كيف يمكنه أن يفعل بها هذا أمام كل هؤلاء الناس؟ ما الذي يجري؟ عرفت بايبر أن خديها ازدادا احمراراً. همست قائلة: «نعم».

ضحك الكاهن في سره على الفور.

أضاف نك: «أريدك أن تقوليها أمام الله وأمام عائلتي وأصدقائي. إن عروسي تخجل قليلاً أمام الناس».

ثم أردف: «نسيت أن تعطيني خاتمي».

- آه...!

نزعت بايبر الخاتم من إصبعها ووضعته في إصبعه. أدركت أن الطريقة الوحيدة التي تخلصها من الاحراج هي أن تفعل ما يريده نك، فقالت: «أحبك، نك».

ظهرت ابتسامة نك على عينيه وفمه وعلى وجهه بأكمله. قال: «لم يكن هذا صعباً كثيراً، أليس كذلك؟».

بعد ذلك، عانقها مجدداً.

حين أفلتها أخيراً، تقدم الجميع لتهنئتهما. لامس الكاهن خد بايبر أولاً، وقال لها إنه يتطلع قدما إلى تعميد أطفالهما. ثم غمزها بعينه، وأردف: «إن نك يتقدم في السن».

فيما كانت بايبر لا تزال تترنح من ذلك التعليق، تقدم والداه نحوهما. انحنى أبوه ليعانقها ويرحب بها في العائلة وكذلك فعلت أمه. ثم لحقت بهما أختاها، ثم زوجاهما وأهلهما ثم أخت ماكس وزوجها، وأخ لوك المدعو سيزار بالإضافة إلى عائلة روبلز.

فيما كانوا يغادرون الكنيسة، قام المصور بالتقاط صور عديدة لهم.

حين شعرت بايبر بذراعي أوليفيا تلتفان حولها، قالت لها: «كي أجعل هذا يبدو حقيقياً، لن أستطيع أن أراكِ أنتِ وغريس حتى صباح الغد».

- فهمت قصدك. سأقول هذا لغريس. لقد أعادها ماكس إلى الفيلا.

- لماذا؟

- تذمّرت بأنها تشعر بالغثيان. تعرفين أنها حساسة تجاه الشموع المعطرة.

- لم أشم أي رائحة غير رائحة الأزهار.

- لا أعرف. بعد الصورة الأخيرة، قالت إنها تشعر بالضعف. أسرع ماكس بها إلى السيارة، وأصرّ أنها تحتاج إلى الاستلقاء.

- حسناً.

شعرت بايبر بذراع قوية تلتف حول خصرها. كانت ذراع لوك. قال لها: «كفاكما كلاماً. زوجك ينتظرك في السيارة كي تتوجها لقضاء شهر العسل. وعدته أن أجدك وآخذك إليه».

- شهر العسل... صحيح!

بمساعدة لوك، صعدت بايبر إلى المقعد الأمامي لسيارة نك،

وأدخلت معها فستانها وخمارها. أقفل لوك الباب وانطلق نك بعيداً.

شعرت بايبر بالغرابة... بالتوتر... بالخوف قليلاً من نك. إنه شعور مختلف كلياً عما شعرت به حين غادرا مكتب السيد كارلسون بعد مراسم الزفاف الأول.

- رأيتك تتشاور مع أبي عمك، هل من أخبار جديدة عن لارس؟

- لم يتصل السيد بارزيني بعد.

لم تحب بايبر الوضع بأكمله. سألته: «أين سنمضي الليلة؟».

- في مكان خاص جداً.

- علي أن أعود إلى الفيلا كي أغير فستان زفافي.

- حالما نصل إلى مقصدنا، سيغير كلانا ثيابه.

تحوّل الشفق إلى ظلام حالك. توقعت بايبر أن ترى أضواء الفيلا تظهر في أي لحظة من بين الأشجار الغضّة، إلا أنهما بدآ ينحدران نزولاً. تذكرت أنها مرّت على هذا الطريق مرة من قبل. بعد قليل سوف يصلان إلى الرصيف البحري الخاص بنك. كاد قلبها يقفز من صدرها لرؤية يخت أوليفار مربوطاً إلى حوض السفن. إنه قارب لوك البحري!

صاحت بايبر: «متى وصل ذلك القارب؟».

لكن نك لم يسمعها لأنه كان قد أوقف السيارة، واستدار كي يساعدها.

رفضت بايبر أن تتحرك. قالت: «لن أذهب على متن ذلك القارب».

زاد مظهر ابتسامة نك البيضاء من تململ بايبر. أجابها: «ليس لدينا خيار آخر، حبيبتي. يريد السيد بارزيني الجميع خارج البلدة حالما تنتهي المراسم. لا تنسي أنه يفترض بنا أن نغادر لقضاء شهر العسل. قدّم لنا لوك قاربه بعد أن جهزته زوجته تجهيزاً جيداً جداً».

ها هو يذكر عبارة شهر العسل مجدداً!

أردف نك: «إنها الطريقة الفضلى كي يبقي رجال الأمن مراقبة شديدة علينا».

بالرغم من أنها لم تستطع دحض منطقه، لكنها لم تكف عن الارتجاف. سألته: «ماذا عن عائلتينا؟».

- ماكس ولوك يستضيفان جميع الذين حضروا الزفاف على العشاء. البلدة مقفلة في وجه الجميع ما عدا رجال الأمن الدولي.

بدت بايبر محبوسة في كومة من الحرير والدانتيل، وبالكاد تمكنت من التحرك. حين وصل نك إلى الجانب الآخر كي يساعدها، حاولت أن تؤرجح قدميها نحو الأرض، لكن تبين أن لنك خطة أخرى إذ حملها بين ذراعيه. راحت بايبر ترتجف من الشعور الرهيب بفعل التصاق جسدها ببنيته القوية وصاحت: «أنزلني، نك!».

لكنه استمر في السير بجسده القوي وقوامه الطويل، فيما أجاب: «ليس قبل أن أحمل عروسي فوق العتبة».

مشى بها على الشاطئ، وخمارها يرفرف في النسيم الهادئ.

- لا داعي لهذا... ليس حولنا جمهور الآن.

- هذا صحيح. لكن يجب علينا أن ننطلق في المياه بأسرع وقت ممكن. فستانك جميل جداً، لكنه يعيق تقدمك إذا حاولت السير فيه فوق الرمال.

لطالما تمكن نك من إيجاد تفسيرات منطقية للأمور. وجدت بايبر نفسها محتجزة بين ذراعيه، ولم يعد أمامها خيار إلا أن تدعه يحملها إلى اليخت ويضعها في الحجرة الصغيرة الخافتة الضوء.

شعرت ببعض الطمأنينة حين رأت أن هناك سريرين فوق بعضهما، ورأت حقائبهما موضوعة على الأغطية. تذكرت ما أخبرتها به أوليفيا بشأن ترتيبات المنامة التي أضفت متعة على شهر عسلها مع لوك.

بعد أن عانقها نك، أخذ يفكّ أزرار فستانها بسرعة فائقة، ثم قال: «انضمي إلي في حوض السفن عندما تجهزين».

صعد الدرج مختصراً كل درجتين منه بخطوة واحدة، وما لبث أن اختفى.

بالرغم من أن بايبر راحت ترتجف من فرط العواطف التي غمرتها، بعد أن ألهبها عناق نك ولمسة أصابعه على بشرتها، إلا أنها تقدمت بضع خطوات مرتبكة كي تصل إلى حقائبها الموضوعة على السرير السفلي. قام نك أو ربما أختاها بتوضيب بعض الثياب لها. بعد أن خلعت فستان زفافها وخمارها، وجدت زوجاً من البذلات الرياضية الرمادية. فيما بدّلت ثيابها، كان نك قد فك الحبل، وأدار المحرك. شعرت بايبر بالارتجاجات في قدميها، فأصابها شيء من الرعب، فقد أصبحا بمفردهما كلياً الآن.

انتعلت حذاءها الرياضي وتوجهت إلى سطح القارب. ينبغي على نك أن يعرف إن كان لارس وشركاؤه وقعوا في الشرك الذي نُصب لهم. إن إلقاء القبض على القاتل يعني أنها تستطيع أن تعود مباشرة إلى مالاغا والرجوع إلى نيويورك على متن الطائرة التالية.

وجدت بايبر نك عند ذراع الدفّة، محاطاً بأضواء شاطئ ماربيلا المتباعدة تدريجياً، من دون سترة بذلة التوكسيد، بدا أكثر روعة بقميصه البيضاء المفتوحة عند العنق، وكميه المرفوعين حتى مرفقيه.

أخذ الهواء يزداد قوة بعيداً عن حماية الخليج. ما جعل شعره البني الداكن أشعث، وأعطاه مظهراً خطراً.

جفّ فم بايبر بعد أن شعرت بالانجذاب القوي نحوه. سيطرت عليها رغبتها في أن تهرع إليه وتلف ذراعيها حول عنقه.

نظر نك إليها قبل أن تتمكن من إشاحة نظرها، وقال: «أعرف مسبقاً السؤال الذي سوف تطرحينه، والجواب هو أن لارس لم يستفد من الفرصة التي قدمناها له الليلة».

هذا الخبر أربك عواطف بايبر. شعرت بالغضب من جهة، لأنها ستكمل تمثيل هذه المهزلة، لكنها فرحت من جهة أخرى لأنها لا

تحتمل الابتعاد عن نك.

أردف نك: «بالإضافة إلى ذلك، فتشت الشرطة يخت بريتانيا، ولم تجده على متنه. تبين أن اليخت ملك رجل أعمال من هونغ كونغ، وأنه مزود بطاقم بريطاني. من المحتمل أن يكون أحدهم فرداً في عصابة المجرمين وهو على اتصال مع لارس. تعمل السلطات الآن على إجراء تحقيق عميق يتعلق بخلفيته. سوف يستنتجون أخيراً علاقة من نوع ما».

هزّت بايبر رأسها يميناً ويساراً، وسألت: «كيف أمكن للارس أن يختفي بهذه السهولة. كان أمام أعيننا مباشرة!».

رمقها نك بنظرة مبهمة. وقال: «لهذا السبب نحتاج إلى معلومات لا تفيدنا بها إلا كاميلا. في الأسبوع المقبل سوف تعملين على هذا الموضوع بطريقة أو بأخرى».

تسارعت أنفاس بايبر، وسألت: «ماذا عن الوقت الحالي؟».

أجاب نك بنبرة لطيفة: «سنستمتع بشهر العسل».

- أحبّذ العودة إلى نيويورك حتى يحين الوقت لألعب دور الجاسوسة.

- ما من مشكلة. أعلميني بالأماكن التي ترتادينها.

بكلامه هذا أجبرها نك على الشعور بالهدوء.

- أعني... أريد الذهاب بمفردي. لدي عمل أقوم به.

- إذاً سأرافقك إلى المكتب وأساعدك.

أحست بايبر أنه حشرها في الزاوية. لم تعد تحتمل المزيد، فقالت له: «اليوم أخبرت أختي عن السبب الحقيقي لزواجي بك».

ضاق جفنا نك، إلا أن بنيته الطويلة القوية لم تحرك ساكناً.

أكملت بايبر حين لم يقل نك شيئاً: «إذاً...؟ ليس علينا التظاهر بأننا نقضي شهر العسل في جو ملؤه الحب من أجلهم فحسب».

أجابها بصوت خفيض: «نفعل هذا من أجل أبي».

وأضاف: «ماذا لو أخبرتك أنه هدّدني بأن يتبرأ مني؟».

يتبرّأ منه؟!

صاحت بايبر: «نك...! أنت لا تعني إنه لا يريدك ابناً له بعد اليوم. أليس كذلك؟».

تجهم وجه نك، وأجاب: «أمرني بأن أتخلى عنك. قلت له إنني لا أستطيع فعل ذلك، فقرر عندئذٍ أنه لا يريد رؤيتي في البلدة».

شعرت بايبر بالغثيان، ولم يكن ذلك بفعل دوار البحر بالطبع. اندفعت تقول: «إذاً عليك إخباره الحقيقة، كي يدرك موضع الخطر».

- إذا فعلت ذلك، سأعرّض التخطيط الذي وضعه السيد بارزيني للخطر. لا يريدني أبي أن أقضي شهر العسل لأنه لا يستطيع أن يتفهم أنني أتمرد على قراره.

تشبثت بايبر بجانب القارب كي تثبت نفسها. وقالت: «لكن... إذا كنت لا تملك منزلاً تعود إليه...».

- لدي ممتلكات أخرى. ثمة فيلا صغيرة أحبها كثيراً في روندا، حيث أحتفظ بالأحصنة، وهي لا تبعد كثيراً عن ماربيلا. حين نعود من فيرنازا، سنستقر هناك.

انحنى رأس بايبر بسرعة باتجاه نك. واستفسرت: «فيرنازا؟».

- سنبحر إلى هناك. أخبرني لوك أن الطقس دافئ على امتداد الساحل على غير عادته في شهر شباط. بما أنك لم تستمتعي بالرحلة إلى الريفييرا على متن البستيوني، سننفذ المخطط الذي وضعته مع أختيك لكن بشكل معكوس.

- لكن...!

تكلم نك بالرغم من اعتراضها: «إنها هدية زفافنا لكِ لأنك ساعدتنا. قمت حتى الآن بإنجاز ما لم يتمكن العملاء السريون من تحقيقه. رؤيتك للارس مع كاميلا اليوم هي دليل على وجود الرابط بينهما، وذلك وفّر الدليل الحي الذي كنا نبحث عنه للقضية».

تمعّن نك بملامح بايبر كأنه يقرأ أفكارها، فيما أشاحت هي بنظرها عنه.

- كان نهاراً طويلاً، بايبر. لابد أنك متعبة. هناك طعام في الأسفل. تناولي العشاء ثم اخلدي إلى النوم. حين تستيقظين في الغد، سنكون في طريقنا إلى سان ترويز حيث الطقس أكثر دفئاً. ثمة شاطئ صغير جميل حيث يمكننا أن نرسوا ليوم ونستمتع بوقتنا.

حقيقة ذهابهما لقضاء شهر العسل الذي لم يكن فعلاً شهر عسل كادت تقتلها. سألته: «كم سنغيب برأيك؟».

- أربعة أيام. حالما نعود إلى مالاغا ونستقر في بيتنا الجديد في روندا، سنزور فيلا روبلز. سيعرف أبي أنني عدت مع عروسي. والأمر يعود إليه إذا ما قرر رفض لفظ اسمي مجدداً.

ارتجفت بايبر تألماً لحالته، وقالت: «هذا فظيع!».

- لا تقلقي! علمت أن هذا اليوم آت لا محالة منذ صرت شاباً وأدركت أن أبي ينوي تزويجي بنينا.

- منذ متى عرفت؟

- كنت في العاشرة.

- كم كان عمر نينا؟

- سبع سنوات.

ارتعدت بايبر قائلة: «يا إلهي! كيف يمكن لأب أن يفعل ذلك بابنه؟».

- هذا الأمر يحدث أحياناً.

شعرت بايبر بآلامه وكأنها آلامها.

- حالما نلغي زواجنا، سوف تحصل على الحرية التي تستحقها. عندها يمكنك استبدال هذا الزواج بآخر أكثر ملاءمة لك. بعد ما قلته لي للتو، سأبذل قصارى جهدي لأحصل من كاميلا على كل ما يمكنني الحصول عليه.

همهم نك: «أعرف أنك ستفعلين».

أطفأ المحرك، وتوجه نحو الصّاري حيث نشر الشراع بسهولة من جراء ممارسة عمرها سنوات. عرفت بايبر أن أفكاره في تلك اللحظة مركّزة على الوقت الذي سيصبح فيه حراً. اعتصر الألم قلبها فيما نزلت إلى الحجرة.

بدا كأن الريح تتعاون تماماً مع نك. مع شروق الشمس تمكن من رؤية الجزء الأعلى الأصفر اللون من ساعة البرج في ترويز عن بعد.

ما إن ألقى نك المرساة حتى ظهرت بايبر على سطح القارب، وهي ترتدي سروال وقميصاً قطنية أظهرت رشاقة جسمها. منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها نك على متن البتسيوني في شهر تموز الماضي، أذهله جمال شعرها الذهبي، وعينيها اللمّاعتين بتدرج اللون الأزرق الذي يشبه المياه المحيطة بفيرنازا.

أسعده سماع صوت زوجته الرائعة وهي تدعوه لتناول الفطور. اتقانه لدوره في الليلة السابقة أعطى النتائج التي يتمناها. بفعل تعاطفها العميق مع ألمه، لم تحاول بايبر أن تقنعه بعدم قضاء شهر العسل، بل اختفت تحت السطح، ولم تظهر إلا الآن.

على الرغم من رغبته القوية في إلقاء القبض على لارس، إلا أنه لم يستطع أن يشعر بالأسف لعدم حصول ذلك. فهذا يمنحه العذر كي يطيل فترة تواجده مع بايبر بمفرده. حان الوقت كي يجعلها تدرك أنها تحبّه. لابد أن تكون كذلك، فالدلائل واضحة أمامه.

- لوس قال لي إن أوليفيا طباخة ماهرة. لم أعرف أنك كذلك.

سكبت بايبر له كوباً آخر من القهوة، وقالت: «كل ما تأكله هو من إعدادها، فقد وضعت الطعام في البراد. أنا قمت بتسخينه فقط».

- طعمه شهي. أنا أتضور جوعاً.

- لا عجب في ذلك بعد ليلة من الإبحار. عملت بجهد في الخارج، وظهرت لحيتك.

كلامها هذا أثار أحاسيس نك، فقد أشار هذا التعليق الشخصي أنها تتفحصه من تحت رموشها الطويلة.

- أعدك بأن أحلق ذقني بعد أن أتناول حصة ثالثة من هذه الفطائر.

- إنها لذيذة جداً. وكأن أوليفيا تتحدى نفسها.

- بالنظر إلى أنها تعاني من الغثيان الصباحي، فإن براعتها في إعداد الطعام لنا تؤخذ بعين الاعتبار.

قالت بايبر وهي لا تزال تتجنب نظراته: «بعد أن رأت غريس كم تعاني أوليفيا بسبب الحمل، فرحت لأنها وماكس سيتبنيان طفلاً».

أكل نك الفطيرة الأخيرة على الطبق. وبعد أن فكر إن كان من الصائب إخبارها أم لا، قال: «هل أخبرك سرّاً؟».

ارتفع رأس بايبر فجأة. واشتعلت عيناها الرائعتان بحماس، فيما أجابت: «هل ستحصل على طفلها على الفور؟».

- لا. غيّر ماكس رأيه بالنسبة للتبني، لهذه الفترة على الأقل.

قالت بارتجاف: «أتعني أن غريس لم تعرف بالأمر بعد؟».

- ليس بعد.

- لكن هذا ليس عادلاً بالنسبة لها.

غطى نك يدها بيده.

- على العكس. في الوقت الذي بدأوا فيه بإجراءات التبني، خضع ماكس للفحص الطبي السنوي. عرف الطبيب أن ماكس تزوج حديثاً، فاقترح عليه أن يجري فحصاً للسائل المنوي ليعرف إن كان ما يزال على حاله كما كان منذ سنوات.

أكمل نك: «جاءت النتائج مدهشة، إلا أن ماكس خضع لفحص آخر للتأكد منها. ورأى الطبيب أن ما من سبب يمنع حمل غريس.

- أنت تمزح!

- لا... لكنه لا يريدها أن تعرف الآن، لأن الطبيب حذره أنها

إذا عرفت، سوف تركز اهتمامها على محاولة حملها، وذلك يخفض بالتالي من قدرتها على ذلك.

- إذاً من المحتمل أن تكون غريس حاملاً من غير علمها!

- هذا ما يتمناه ماكس.

شدّ نك على أصابعها قبل أن يتركها.

- آه، يا إلهي! لهذا السبب شعرت بالغثيان في الكنيسة اليوم.

ابتسم نك. وقال: «لن يفاجئني أن تمنح أختك الكبرى ماكس الطفل الذي لطالما تمنى أن ينجبه».

قضمت بايبر شفتيها. وردّت: «لابد أن تكون معرفته بأنه لن يكون أباً طبيعياً أمر صعب عليه».

- نعم، إنه كذلك.

أخذ نك نفساً عميقاً، وأضاف: «حين اكتشف ذلك، تغير تماماً. لم تعد فكرة الزواج مثيرة بالنسبة إليه. وبما أنني عقدت العزم على إبطال زواجي بنينا، فهذا جعل منا اثنين. تطورت الأمور من سيء إلى أسوأ حين أعلن لوكاس ابتعاده عن النساء بعد أن شك بأن خطيبته أقامت علاقة مع أخيه».

أضاف نك: «في ظروفنا السيئة تلك، مَن غير توائم عائلة داتشس كان ليغيرنا؟ لم يبق أحد منا على طبيعته منذ ذلك الوقت. لِمَ لا تأتين إلى السرير معي، يا حبيبتي؟ فأنت امرأة جذابة، وأنا أود أن أكمل زواجنا بعلاقة زوجية حقيقية. يمكننا حتى أن ننجب ثلاثة أطفال إذا ما رغبت بذلك، بعد حوالى بضعة أشهر. نحن الستة يمكننا أن ننشئ عائلة جديدة. عائلة داتشس بارما بوربون الملكية».

نهض نك على قدميه. وأكمل: «فكري بالموضوع، فيما أحلق ذقني».

٩ ــ لبوة في الأسر

لحسن الحظ أن الصحون التي استخدماها غير قابلة للكسر.

إن احتمال حمل غريس لابد أن يأخذ الأولوية عن أي موضوع آخر، لكن الشيء الوحيد الذي استطاعت أن تفكر فيه هو زوجها الذي خلد إلى النوم بعد أن سهر طوال الليل.

قال لها إنه متيم بامرأة أخرى، لكن بايبر هي المرأة التي تزوجها، والآن ترك لها الحرية بأن تنضم إليه. كل ما عليها فعله هو أن تتقدم بضع خطوات من المطبخ إلى الحجرة، وهناك تستطيع أن تستلقي بين ذراعيه، وتغدق عليه حبها إلى أن يصبح لارس خلف القضبان.

لِمَ لا؟

لقد تعبت من الكفاح. سوف يذهب نك في طريقه وتذهب هي في طريقها. ربما ليس من المقدر لكل توائم عائلة داتشس أن يبقين مع أزواجهن ويؤسّسن عائلات. لابد أن حبها لنك سيحول دون وقوعها في حب رجل آخر، وستبقى هذه الليلة على الأقل ذكرى في مخيلتها.

دخلت بايبر إلى الحجرة باحثة عنه بتصميم. كان نك مستلقياً على السرير العلوي، وهو يرتدي سروالاً رياضياً. حين دخلت بايبر الحجرة، أدار رأسه نحو الباب. رفع نك جسمه على مرفقه، وسألها بصوت خفيض: «هل تنضمين إلى هنا أم أنزل أنا إلى السرير السفلي؟».

- أولاً، علينا مناقشة أمر هام.

ابتسامته الرائعة أذابتها من الداخل فيما أجاب: «ماذا لديك؟».

- لا أريد أن أصبح حاملاً، علينا أن نتوخى الحذر.

اندفع نك قائلاً: «لماذا؟».

أذهلها سؤاله، لكنها أجابت: «أنت تعرف السبب».

بعد صمت وجيز، قال: «لو كنت أعرف لما سألتك».

- بعد طلاقنا، أنا لا أنوي رؤيتك مجدداً إلا في الاجتماعات العائلية مرة في السنة تقريباً.

علت الظلال تعابيره الأخاذة. تمعّن نك بها للحظة ملؤها التوتر، ثم قال: «حتى لو توخينا الحذر، لاشيء يضمن أنني لن أجعلك حاملاً. وبما أنك حددت هدفك الرئيسي، فأنا لن أجرؤ على لمسك. يحتاج الطفل إلى والدين يحبّان بعضهما».

بعدئذٍ أضاف: «أيقظيني عند الساعة الثالثة. أتوقع أن تكون الحرارة قد ارتفعت، فنستطيع أن نسبح معاً».

في السنة الماضية رفضها نك مدّعياً أنه في فترة حداده. والآن ها هو يبعدها عنه متذرعاً بسبب لا تستطيع أن تناقش فيه.

- فيما تنام، سأقوم برحلة استكشافية.

- البلدة جميلة جداً. يمكنك الاستمتاع بوقتك بما أنك لست وحيدة.

استدار نك إلى الجانب الآخر مشيراً بذلك إلى انتهاء الحديث.

أخذت بايبر حقيبتها، وغادرت الحجرة متسائلة كيف تمكنت من مواصلة التحرّك وهي تشعر بمثل هذا الألم الفظيع.

أرسى نك القارب على مسافة قريبة من الشاطئ، بحيث تستطيع أن تلف سروالها الجينز على ساقيها وتتمشّى على الشاطئ من دون أن تبلل ثيابها.

حملت بايبر حذاءها الرياضي بيديها، وحين جفّت قدماها، أزالت الرمال عنهما، وانتعلت حذاءها، ثم توجهت إلى البلدة.

انتابها شعور غريب لمعرفتها أنها ملاحقة، وأن هناك من يراقبها ونك منذ أن وصلا إلى نيس. من دون شك، تطلّب ذلك تناوب العديد من الرجال.

بعد أن اكتشفت بايبر الممرات الرائعة في تروبيز، أمضت بضع ساعات في متحف أنّونسياد.

بعد أن غادرت المتحف، قادتها رغبتها بأن ترسم لوحة خاصة بها إلى شراء ورق خاص بالرسم. لذلك، زارت مجدداً أماكن من اختيارها كي تنقل الصور إلى الورق.

حين ظهر نك فجأة أمام ناظريها، رائعاً كالمعتاد في قميص بنية رياضية وسروال أبيض فضفاض، أطلقت شهقة صغيرة وألقت نظرة إلى ساعة يدها. لم تصدق أن الساعة تجاوزت الخامسة مساء.

تسارع نبض بايبر. قفزت عن المصطبة وقالت: «أنا آسفة، غفلت عن الساعة».

تناول نك دفتر الرسم وتصفّحه. ثم أجاب: «مسامحة. هذه الرسومات مذهلة».

جالت نظرته الباحثة على تعابير بايبر، ثم أضاف: «أنا جائع. هل أنتِ كذلك؟».

أصبحت بايبر غير قادرة على التنفس، فردت قائلة: «نعم».

- ثمة مطعم صغير رائع على حافة المياه، أعرف أنك ستحبينه. هلاّ ذهبنا إلى هناك؟

دسّت بايبر حقيبتها ودفتر رسمها تحت إحدى ذراعيها، ومشت معه في وسط الأزقة الخلاّبة إلى أن وصلا إلى مقصدهما.

أثناء تناولهما وجبة المأكولات البحرية، لاحظت بايبر النظرات المليئة بالحسد الموجهة إليها من قبل النساء الأخريات، هذا حين يتوقفن عن التحديق بزوجها. بدا نك غافلاً عن تلك النظرات فيما تبادلا حديثاً متقطعاً.

عندما عادا إلى اليخت مجدداً، كان الظلام قد حل، والحرارة قد انخفضت. وبالتالي فات الأوان عليها كي تسبح، لكن ليس على نك الذي بدّل ثيابه وارتدى ثوب السباحة.

فيما سمعته بايبر وهو يغطس في المياه، استعدت للخلود إلى النوم، وصعدت إلى السرير السفلي. كانت متعبة أكثر مما تصورت، فغفت قبل أن يدخل نك الحجرة.

حين استيقظت في الصباح التالي، شعرت بتأرجح السفينة اللطيف، فأدركت أنهما في البحر مجدداً.

نهضت من السرير ثم استحمت، وارتدت سروال جينز نظيف وقميصاً قطنية.

كان نك يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً بالإضافة إلى نظارتين شمسيتين، ما جعل أمر تخمين حالة مزاجه صعباً للغاية.

- هل من أخبار من السيد بارزيني؟

- لا.

حسناً! هذا يوضح كل شيء. أضافت: «إلى أين نتجه اليوم؟».

- نستطيع أن نتوقف عند أي مرفأ تريدينه، لكن كلما ذهبنا شرقاً كلما ارتفعت الحرارة. الأمر يعود إليك.

استطاعت بايبر أن تخمّن مزاجه. بدا واضحاً أنه غير ودود ومتحفظ.

- حين كنا أنا وأختاي نخطط للرحلة، ذكرت غريس ألاسيو كأحد الأمكنة التي يجب زيارتها.

هزّ نك رأسه بالإيجاب، وقال: «خيار ممتاز. تمتاز ألاسيو بشاطئ رملي أبيض ومناظر خلابة. تستطيعين أن ترسمي هناك الكثير مما يحبه قلبك».

فركت بايبر كفيها على وركيها وهي تشعر بالاحباط، وسألته: «هل تودّ الذهاب؟».

- هذا مؤكد.

فكرت في سرها أن لا شيء مؤكد عندما يتعلق الأمر به.

- هل تناولت الفطور؟

- نعم. كنت لأطلب منك أن تنضمي إلي، لكنك كنت تنعمين بنوم هادئ، ففكرت أنني سوف أبدو فجاً لو أزعجتك.

كياسته هذه جعلتها تشعر بالتشتت. قالت: «سأذهب لأتناول الطعام إذاً».

لم يعلق نك بأي كلمة.

اختفت بايبر في الأسفل بالرغم من انقطاع شهيتها، لكنها انتشلت خوخة طازجة قبل أن تصعد إلى السطح مجدداً، وسكبت لنك كوب قهوة إشارة إلى إرساء السلام بينهما. إذا لم تنته هذه الحرب الباردة بينهما، سوف يتحول الوضع إلى صراع عنيف.

همهم نك حين أعطته بايبر الشراب الساخن: «شكراً».

- على الرحب والسعة.

بدا كأنه يتمنى أن يبقى بمفرده. تمشت بايبر نحو مقدمة اليخت وغرقت في أحد المقاعد كي تستمتع بمنظر الشاطئ الخلاب.

وفي منتصف فترة بعد الظهر، ارتدت ملابس البحر وغطست في مياه شاطئ ألاسيو. بعد قليل ألقى نك المرساة، وانضم إليها. بعد ذلك التمرين المنعش، بدّلت ثيابها كي يستطيعا الذهاب إلى البلدة ويتناولا العشاء في مطعم أحد الفنادق المطلة على الشاطئ. لكنها أدركت أن التواجد في الجنة مع رجل تحبه هو أسوأ من الوحدة إذا كان لا يحبها.

حين عادا إلى متن السفينة، توجهت بايبر مباشرة إلى السرير مصطحبة معها كتاباً لتقرأه. يبدو أنها استغرقت في النوم بسرعة لأنها لم تتذكر دخول نك إلى الغرفة مطلقاً. مر اليوم التالي تكراراً لليوم الذي سبقه.

بما أنهما كان قريبين من سانك تير، اقترحت بايبر أن يقصدا مونتيروسو، وهو المكان الذي خططت فيه مع أختيها أن يسبحن خلال ليلتهن الأولى على متن يخت البتسيوني.

حين أدار نك وجهة السفينة، سألته بايبر: «هل يعمل هاتفي الخليوي من هنا كي أتصل بأختيّ؟».

- نعم لكنني لا أريدك أن تتصلي بهما.

اندفعت بايبر تقول: «لِم لا؟».

- قد يتساءلون لماذا تحاولين الاتصال بهما وأنت في شهر العسل.

- رأيتك تتكلم على الهاتف.

- مع السيد بارزيني فقط.

بدا الوضع مستحيلاً...

فجأة قالت بايبر: «نك... ! أبحرت في هذه المياه طوال حياتك. لابد أنك تشعر بالضجر».

- إطلاقاً. أحب البحر. الفترة الماضية كانت فترة مليئة بالعمل في المصرف. لذا أود أن استمتع بفترة الراحة هذه، قبل أن أعود إلى العمل. أنا آسف لأنك لا تشعرين بالشيء نفسه.

- أنت تعرف أنني أستمتع بالأمر أيضاً، لكن إذا كان من شيء آخر تود فعله...

- بما أنك تسألين، أود أن أقيم علاقة حميمة مع زوجتي. باستثناء ذلك، ليس لدي احتياجات أخرى في هذه الآونة.

ألم... ألم... ألم...!

مع ذلك قالت: «ما عدا أن تكون مع المرأة التي تحبها فعلاً. قل لي الحقيقة».

كافحت بايبر كي تبقي صوتها على وتيرة واحدة، فيما أكملت: «أهي كونسويلا مانور؟».

- لا.

سألته غير قادرة على لجم نفسها: «إذاً، أهي امرأة متزوجة؟».

- نعم.

- حالتك مستعصية إذاً!

- تبدو كذلك.

كورت بايبر يديها الاثنتين في قبضتين، وقالت: «حين تحل هذه المسألة، وتعود إلى مزاولة حياتك الطبيعية مجدداً، ستتمكن على الأقل من إيجاد امرأة أخرى».

التوى فمه بطريقة وحشية، وأجاب: «لا أريد امرأة أخرى».

- هل تبادلك الشعور ذاته؟

- نعم.

- إذاً لماذا لا تفعل شيئاً حيال هذا الموضوع؟

أجابها: «لأنني سببت لها الأذى».

- هل عملك لا يغتفر؟

- إذا لم تأتِ إلي بملء إرادتها، فلا أظن أنني سأتمادى أكثر.

هزت بايبر رأسها في ارتباك، وقالت: «إن كان هناك أمل طفيف بأن تكونا معاً فلِمَ اقترحت علي أن نحول زواجنا إلى زواج فعلي؟».

تصلب فكا نك وأجاب: «لأنني تعبت من الانتظار. لم يكذب الكاهن حين قال إنني أكبر في السن. الخطيئة الكبرى في الحياة هي ألا نعيشها أبداً. ألا تظنين ذلك؟».

- أهذا شعورك الفعلي؟ ألم تعش حياتك بعد؟

شعرت بايبر بالذهول لكلامه هذا.

- ليس بالطريقة التي يعيشها ابنا عمي اليوم.

أو أختاها اللتان لم تشعرا بالسعادة الحقيقية في حياتهما بقدر ما هما الآن.

- بحسب ما قاله طبيبي النفسي، ما من شيء يضاهي الحب

الحقيقي. هو يؤمن أن ثمة عشرين شخصاً على الأقل مناسبون لأي شخص كي يغرم بهم، تبقى المشكلة هي إمكانية أن يلتقي بهم. بما أنك نشأت على الالتزام بالواجب، لم تسنح لك الفرصة كي تفتش عن عروس لك. سوف تكون إمكانية القيام بذلك ممتعة للغاية.

بعد تلك الملاحظةأخذت بايبر الكوب الفارغ من نك، وتوجهت إلى مطبخ السفينة، كي لا يتمكن من رؤية التأثير الذي تركته عليها حقيقة عدم رغبته في إيجاد امرأة أخرى.

بقيت في الأسفل. رتبت السريرين، ثم نزعت خاتمها من إصبعها كي تنظف المطبخ والمرحاض. أرادت أن تفعل أي شيء لتبقى بعيدة عن نك. عندما تأكدت من أنه ألقى المرساة، ارتدت سروال جينز آخر وقميصاً قطنية كي تتجوّل في البلدة.

حين صعدت إلى السطح مجدداً، وجدت نك ممدداً على الأريكة وعيناه مغمضتان بغية الاستمتاع بأشعة الشمس.

- نك! أنا ذاهبة بعيداً عن الشاطئ، ولن أعود إلا عند المساء على الأرجح.

سألها نك من دون أن يفتح عينيه لينظر إليها: «ألا تريدين أن أرافقك؟».

- إذا كنت تحب ذلك... لكنني على الأرجح سأرسم طيلة الوقت.

- في تلك الحالة، سأجدك حين أشعر بالضجر.

الضجر من نفسه... الضجر من حياته...

بعد نصف ساعة وصلت بايبر إلى وسط البلدة، وبدأت بالرسم. هذا ما ساعدها على أن تحافظ على سلامة عقلها خلال ساعات النهار. حوالى الساعة السادسة شعرت بالجوع، وقررت أن تتوقف كي تبتاع بعض الطعام قبل العودة إلى السفينة.

ما إن وصلت إلى منعطف صغير لطريق مؤد إلى المرفأ، حتى

سمعت أحدهم يناديها. هي متأكدة أنه ناداها باسم أوليفيا.

- انتظري!

حين نظرت من فوق كتفيها، رأت رجلاً أشقر الشعر في منتصف العشرينيات يتوجه نحوها. سألها بلكنة بدت لبايبر ألمانية أو أسترالية: «ألا تذكرينني؟».

- أخشى أنني لا أفعل.

- أنا إريك.

قامت عيناه الزرقاوان الباهتتان بتفحصها على مهل، ثم أضاف: «كنت لأقسم إنك المرأة الأميركية الشقراء التي لعبت معي ومع أصدقائي لعبة الفريزبي على الشاطئ في إحدى الأمسيات في الصيف الماضي. شعر صديقي لارس بالغضب الشديد حين لم تأتِ إلى المقهى للرقص معنا».

لارس؟!

ابتلعت بايبر ريقها بصعوبة. هذا هو المكان الذي ذكرت أوليفيا أنها رأته فيه. قالت إنه كان مع مجموعة من الألمان والكرواتيين.

ارتعد قلب بايبر، وأجابت: «على الأرجح أنت تتكلم عن أختي. نحن نشبه بعضنا كثيراً. أتت في شهر آب الماضي على يخت غابيانو».

رفع إريك جبينه. وقال: «هذا هو الاسم! ظل لارس يفتش عن تلك السفينة لأشهر عديدة. لكن محاولاته باءت بالفشل».

ارتجفت بايبر. لو لم يغير لوك اسم السفينة حين أعاد دهنها... أجابت: «يا لها من صدفة مذهلة».

- نعم. هل هي معك؟

- لا. أنا هنا في صدد عمل أقوم به. ماذا عنك؟

- أصدقائي وأنا نعمل لدى شركة تأجير السفن خارج لاسبيزا. نحن نعيش هنا بحكم الوظيفة.

أيعرف هذا الألماني أن لارس هو القاتل؟ ربما يكون إريك أحد الرجال الذين ساهموا في سرقة مجموعة ماري لويز. من المحتمل أن لارس يعيش هنا أيضاً. أرادت بايبر أن تعرف المزيد.

- أنت تعيش في الجنة.

ابتسم إريك مجيباً: «نحن نظن ذلك أيضاً. ما هو نوع العمل الذي أتى بكِ إلى مونتوريسو؟»

- أنا فنانة. تظهر رسوماتي على الروزنامات في الولايات المتحدة.

جالت نظرته على دفتر رسوماتها. وسألها: «هل لي أن أراها؟».

أجابت وهي تعطيه إياه: «إذا كنت تحب ذلك».

بعد أن تصفح الدفتر، قال بصوت عالٍ: «أنت عبقرية! لابد أنك تجنين مالاً كثيراً».

- يتحسّن الوضع دائماً. شكراً.

- لم تخبريني ما هو اسمك بعد.

- بايبر.

- إنه اسم غريب.

- نعم.

بعد أن سلّمها الدفتر مجدداً، بدأت بايبر تمشي نحو المرفأ. سار إريك بجانبها، وشعرت بعينيه تتفحصان تعابيرها.

- كم من الوقت ستبقين في مونتيريسو؟

لم تكن بايبر تريد أن تبدو متشوقة جداً لمعرفة معلومات عنه، لكنها لم تجرؤ على أن تجعله يكتشف أن غابيانو خضعت لتغيير في المظهر، وأنها ترسو بعيداً عن الشاطئ.

بحلول هذا الوقت، يفترض بالحارس الذي يرافقها أن يكون قد اتصل بنك ليخبره أن غريباً يلحق بها.

ارتجلت بايبر كلماتها قائلة: «سأستقل القطار المتجه إلى بورتوفينو

هذه الليلة، حيث سأحجز في فندق سبلنديدو».

- مكان جميل. لكن لِمَ لا تبقين هنا؟ نستطيع أن نقضي وقتاً رائعاً.

- يبدو ذلك جميلاً، لكنني أريد أن ألتقط صوراً لمرفأ بورتوفينو عند الفجر، وهذا يعني النوم مبكراً بالنسبة لي.

- إذاً ما رأيك بليلة الغد؟ سأطلب من لارس أن يأتي بصديقته، وسوف نحتفل نحن الأربعة.

وقف الشعر في مؤخرة عنق بايبر، فيما أجابت: «آه! أود ذلك. لِمَ لا تلتقيني في مسبح سبلنديدو عند السابعة تقريباً».

وصلا إلى محطة القطار. وضع إريك يده على خصرها كي يقودها إلى الداخل. تلك الحركة غير المتوقعة جعلت بشرتها ترتعد.

أحسّت بايبر بالارتياح حين قال لها المسؤول عن البطاقات أن القطار المتوجه إلى بورتوفينو سوف يصل بعد خمس دقائق. بما أنها غير قادرة على تضليله، كان عليها أن تحتمل رفقته طوال الطريق نحو الرصيف.

- بعد ذلك، سوف ننضم إلى بعض الأصدقاء على متن يخت خاص.

كبتت بايبر ارتجافها، وأجابت: «هذا ممتع. منعني عملي من القيام بهذا النوع من النشاطات».

- إذاً علي أن أحرص على أن يكون وقتاً لا ينتسى.

لم يكن هناك مجال للخطأ بشأن ما يعنيه إريك بكلامه. وصل القطار في الوقت المحدد، إلا أن الدقائق الخمس بدت لها كخمس ساعات.

ابتعدت بايبر عنه كي تصعد الدرج قبل عدد من الناس، وقالت: «أراك غداً، إريك».

- إلى اللقاء، بايبر.

وجدت بايبر مقعداً داخل المقصورة. وقف إريك خارج النافذة وابتسم لها، فارضاً عليها أن تلوّح له. في اللحظة التي مشى فيها القطار، انتشلت بايبر هاتفها الخليوي، وبيدين مرتجفتين اتصلت بنك. أجاب نك قبل الجرس الثاني. قال من دون مقدمات: «رآك حارسك تستقلين القطار. هل أنتِ بخير، يا حبيبتي؟»..

أجابت: «أنا بخير».

- الحمد لله! من كان ذلك الرجل؟

شدّت بايبر على الهاتف أكثر، وأجابت: «اسمه إريك. كان مع لارس حين انضمت أوليفيا إليهم في لعبة الفريزبي في شهر آب الماضي. ظن أنني هي. حدّدت موعداً لنا غداً مساء في فندق سبلنديدو. إنهم يعملون لدى شركة من لاسبيزيا».

حين لم تسمع بايبر أي جواب، عرفت أن القطار يمر تحت الأنفاق. لم تعرف عند أي كلمة انقطع الإرسال. حين وصلت إلى بورتوفينو، عاد الإرسال مجدداً، لكن نك لم يُجب. تخيّلت أنه رجع إلى اليخت، وأنه سيتصل بها حين يستطيع ذلك.

لكنها لم تصِب في افتراضها ذاك. حين حجزت في الفندق الرتع بعد نصف ساعة، حيث بقيت مرة مع أوليفيا وغريس لم تكن قد سمعت شيئاً بعد من نك. استخدمت بايبر بطاقة الائتمان التي تحمل اسمها قبل الزواج. إذا ما طرح إريك ولارس أسئلة على موظف الفندق غداً مساء، فلن يتمكنا من ربطها مع نك بأي وسيلة.

مضت نصف ساعة أخرى ولم يتصل بها نك.

شعرت بايبر بالعجز، فراحت تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً خائفة من الخروج مجدداً. اتصلت بخدمة الغرف وطلبت وجبة العشاء. تحوّلت الساعة إلى ساعتين ثم ثلاث ساعات. استلقت بايبر على السرير، وشاهدت فيلماً إيطالياً، فيما انتظرت اتصال نك.

مع حلول منتصف الليل، لم تعد تستطيع الانتظار أكثر فاتصلت

بغريس، بالرغم من أن نك حذّرها بألا تتصل بأحد لأن من المفترض أنهما يقضيان شهر العسل.

كل ما حصلت بايبر عليه هو رد المجيب الآلي لهاتف أختها. حصل الأمر نفسه حين اتصلت بأوليفيا. جعلها ذلك تشعر بالاحباط، فاتصلت بماكس ولوك على هاتفيهما الخلويين، لكنها تلقت المزيد من التعليمات لتترك رسالة.

عدم وجود أي منهم أنبأها بحصول أمر غاية في الأهمية. أحسّت بايبر بالكدر لأن الجميع يعرفون ما يجري ما عداها! حين رن جرس هاتفها أخيراً، كادت تقفز من جلدها. صاحت: «نك؟».

- لا! هذه غريس. أتكلم معك من المنزل. أوليفيا على الخط الآخر.

نهضت بايبر من السرير، وقالت: «الحمد لله أنكما عاودتما الاتصال بي! أنا في غرفة في فندق سبلنديدو أتحرق شوقاً كي أعرف ما الذي يجري. بينما كنت أخبر نك بأنني وجدتُ لارس، فقدتُ الاتصال معه. إذا حصل أي مكروه له، لا أريد أن أواصل...».

قاطعتها أختها قائلة: «بايبر! اسمعي ما سأقوله لك. اتصل ماكس من مركز الشرطة في روما. لوك ونك معه بالإضافة إلى السيد بارزيني. زوجك بخير والكل بخير، والأمور تسير على ما يرام».

قاطعتها أوليفيا: «هذا صحيح. بفضل المعلومات التي زوّدته بها، تم القبض على لارس وإريك من قِبل الشرطة هذا المساء. هما موقوفان مع فرد آخر من الطاقم على متن سفينة بريتانيا».

- أنت تمزحين! هل انتهى الأمر؟

- نعم. انتهى كل شيء.

- آه! أيتها الفتاتان... لا أصدق!

انهمرت الدموع على خدي بايبر.

- نحن فخورتان بك كثيراً، وندين لشجاعتك.

- ليس للشجاعة علاقة بالأمر أوليفيا. حالما أدركت ما الذي يحصل، وافقت على ما خطط له إريك إلى أن تمكنت من الاتصال بنك.

قالت غريس: «وفقاً لما قاله ماكس، لا يخبر نك القصة بهذه الطريقة».

أردفت: «السوء الحظ، هم الآن يستخلصون المعلومات. ترك نك لك تعليمات صارمة بألا تتحركي من مكانك حتى يتمكن من الوصول إلى هناك. بما أن ماكس هو المستشار القانوني للعائلة، ثمة الكثير من الأعمال التي ستتطلب من أزواجنا الليل بأكمله. بالإضافة إلى مسألة المجوهرات المسروقة، هناك الناحية الإنسانية في الموضوع».

أضافت غريس: «تم استدعاء والدي نك مع كاميلا وعائلة روبلز إلى روما. هم يستمعون إلى كيفية حصول حادثة قتل نينا الآن».

جلست بايبر على حافة السرير، قائلة: «كم هذا مروّع بالنسبة لهم!».

ردت أوليفيا موافقة: «بالطبع! لكننا نعرف على الأقل أنه تم القبض على القاتل».

غمرت السعادة العارمة قلب بايبر لمجرد معرفتها أن كل الأشخاص الذين تحبهم لم يعودوا عرضة للخطر. لكن الآن نشأت مشكلة جديدة، وهي مشكلة لم يخطر ببالها قط أنها سوف تواجهها في غضون هذه الفترة القصيرة.

- بايبر؟ أما زلت على الخط؟

- نعم. أظن أنني ما زلت تحت تأثير الصدمة. لا أصدق أن كل شيء انتهى.

- نعرف ماذا تقصدين. من الصعب التصديق أننا كنا المشبوهات في هذه الجريمة.

أطلقت بايبر ضحكة تخلو من التسلية، وأجابت: «يبدو هذا منذ

قرن خلا».

ردت أوليفيا: «هذا يجعلك تظنين أن القدر هو الذي قادنا إلى أوروبا. أليس كذلك؟».

هذا قدرهم كلهم ما عدا بايبر.

أردفت: « والآن نحن متزوجات من أروع أزواج على وجه الكرة الأرضية».

همست بايبر: «بالفعل!».

علقت غريس: «تبدين غريبة... أظن أن من الأفضل أن نأتي ونبقى برفقتك».

- لا!

لا. إنها تود البقاء بمفردها الآن!

أضافت بايبر: «هذا لطف منكما، لكن حل منتصف الليل، وأنا منهكة جداً، ولا شك أنكما كذلك».

- لن ينام أحد منا الليلة. نحن في طريقنا إليك.

- لكن...!

قالت غريس بنبرة صوت جدية: «أنت قمت بجزء "الفرد للكل" الليلة. والآن سوف نقوم نحن بجزء "الكل للفرد"».

وأضافت: « سنراك بعد ساعة».

لم تستطع بايبر أن تقفل الخط بسرعة كافية. فقد اجتاحت جسدها قشعريرة، لأن إدراكها أن المسألة قد حُلّت يعني أن ليس من سبب وجيه بعد الآن يدفعها لأن تبقى مع نك.

إذا غادرت إلى نيويورك الآن فوراً، سوف يتم الغاء الزواج من دون أي تأخير، وسوف يصبح نك حراً مجدداً ليفتش عن امرأة أخرى. ربما لن تكون حب حياته الأكبر، لكنها سوف تكون المرأة التي اختارها من دون أي شروط.

بعد عشر دقائق، طلبت بايبر من سائق سيارة الأجرة أن يتوجه إلى

مطار جنوى.

في الساعة الثالثة والنصف صباحاً رن هاتف نك. اعتذر عن الجلسة مع عائلة روبلز، وخرج إلى الردهة كي يرد على الاتصال. بما أن كل الأقارب كانوا مجتمعين في روما ما عدا أختي بايبر، فلا بد أن زوجته هي المتصلة.

آه! إنه بحاجة إلى سماع صوتها. ضغط نك على الزر الأخضر من دون تفحص هوية المتصل، وقال: «بايبر!».

- عذراً، سينيور دي باسترانا. معك السيد غالي، رئيس جهاز الأمن في مطار جنوى. احتجزنا إحدى توائم عائلة داتشس وهي تحاول أن تسافر إلى نيويورك.

همهم نك، فيما أردف الرجل: «حين سألناها عن طبيعة عملها في إيطاليا هذه المرة، رفضت أن تخبرنا أي شيء. ليس معها أي جواهر، بل مجرد دفتر وحقيبة. أخذنا هاتفها الخليوي منها بالطبع. الآن هي تطلب حقها بأن تتصل بمحاميها في نيويورك. قلتُ لها إننا سنسمح لها بذلك حالما تزوّدنا بالمعلومات المطلوبة. عندئذٍ أصرّت على أنها زوجتك سينيور، وأنك تستطيع أن تفضّ المسألة لكي تسافر إلى منزلها».

- فعلت الصواب، يا سيد غالي. أين وضعتموها؟

- في غرفة الحجز.

- جيد جداً. احرص على أن تزودها بسرير وغطاء دافئ، وما تطلبه من الطعام أو الشراب.

- بالطبع!

- واحرص ألا تدخل أختاها كي ترياها أو تتكلما معها تحت أي ظرف.

- حاضر سيدي.

- على الأرجح أنني لن أصل إلى هناك قبل ساعة أو اثنتين. هناك

شيء آخر، أعطِها دفتر الرسم وحقيبتها، فهي فنانة وسوف تشعر بسعادة أكبر إذا كان ثمة شيء تفعله.

- مفهوم.

حالما أقفل نك الخط، سأله لوك: «ماالذي يجري مع بايبر؟».

لم يدرك نك أن ابن عمه يقف خلفه، فأجاب: «حاولت أن تسافر إلى نيويورك، فاحتجزها السيد غالي في مطار جنوى».

تمعّن لوك في وجه نك للحظة، وقال له: «لم تخبرها عن السبب الحقيقي الذي دعاك إلى الزواج بها، فلماذا تبدو مصدوماً الآن؟ عرفت أن هذا اليوم آتٍ».

ثم أضاف: «أنتَ والعم كارلوس تشبهان بعضكما كثيراً. أنتما تملكان الكثير من الكبرياء العائد إلى عائلة باسترانا، وذلك الكبرياء اللعين يحول دون انفتاحكما واقتناصكما الفرص. العم كارلوس يحبك في العمق ويريد حبك، لكنه لا يستطيع أن يخبرك أنه لم يقصد أن يتبرأ منك، لأنه يخاف ألا يسمع الجواب الصحيح منك».

- أتظن أنني لا أعرف ذلك؟

تحدّاه لوك سائلاً: «هل تعرف حقاً؟ لماذا إذاً عاملت بايبر البرودة نفسها؟».

لم يكن لوك على علم بكل التفاصيل، لكنه بدا محقاً. ملأ نك رئتيه بالهواء، ثم قال: «أعطيت أبي الجواب الصحيح قبل بضع دقائق بالرغم من أنه لم يطلب ذلك. كانت لحظة مهيبة لكلينا. انهار منتحباً، وتوسلني أن أسامحه، فتعانقنا مثلما كان ينبغي أن نفعل منذ سنوات».

أجاب لوك بصوت أجش: «أنا سعيد لسماع هذا الخبر».

تنحنح نك، ثم قال: «أما بالنسبة إلى بايبر... أنت محق في كل ما قلته. في السنة الماضية، كان علي أن أرفضها لكل تلك الأسباب الواضحة، وبالرغم من ذلك توقعت منها أن تتفهمني وتحبني على أي حال. حين صدتني بقوة، أصابني الرعب خشية أن أكون قد تسببت

لها بالأذى من غير أمل بالتعويض عليها، فلم أسمح لها بأن تعرف ما في داخل قلبي. لا عجب إذا كانت تحاول هجري، لكنني لن أسمح لهذا بأن يحصل. نك القديم قد مات، لوك. ونك الجديد هو في طريقه إلى جنوى. سوف أتوسل إليها إذا كان هذا ما يتطلبه الأمر».

- أكره أن أقول لك هذا يا صديقي، لكن هذا ما قد يتطلبه الأمر منك.

تجمّد جسد نك، ثم قال: «لا يمكنني أن أخسرها. هي حياتي، لوك. قدّم اعتذاراتي للسيد بارزيني. قُل له إن أمراً هاماً طرأ، وينبغي علي معالجته فوراً. وجودي كله يعتمد على ذلك».

- أعرف تماماً ما الذي تشعر به. حين خططت لذلك العمل مع السيد توزيني كي أسترجع أوليفيا إلى أوروبا، كنت أرتجف خوفاً.

- وأنا أرتجف كذلك. قُل لماكس إنني سأتصل به وأنا في طريقي إلى المطار، ودعه يعرف بما يجري.

- سيكون ذلك ارتياحاً عظيماً له.

همهم نك: «أدرك ذلك. حين يتعلق الأمر بايبر، تبدو الفتيات كلبوات تدافع عن أشبالها.

منحه لوك تلك الابتسامة المعروفة المألوفة، وقال: «جِد حلاً لمشكلتك وسنسامحك على كل شيء».

- هذا ما أنوي فعله.

www.elromancia.com

١٠ ــ إلى أن يفرقنا الموت!

إنها الساعة الخامسة صباحاً، وبايبر ما تزال مستلقية في الظلام حزينة القلب. توقعت أن تنتظر اثنتي عشرة ساعة إضافية قبل أن يأتي نك إلى الغرفة الخالية من النوافذ حيث تمّ احتجازها.

أضاء نك الأنوار، ما دفع بايبر إلى سحب الغطاء فوق رأسها حتى لا تلاحظ ملامحه الرائعة.

سمعت صوت أرجل الكرسي تحف الأرض فيما اقترب من السرير.

- لم تكن لدي أي فكرة أن السيد غالي سوف يحتجزك. أقسم بذلك!

- أرجوك... أطفئ النور. إنه يؤلم عيني.

بعد لحظة واحدة عاد الظلام يعمّ الغرفة.

سألها نك بصوت هادئ خشن: «أهذا أفضل؟».

استطاعت أن تشعر أنه يجلس بالقرب منها مجدداً.

- نعم.

- في المرة الأخيرة التي حاولتن أن تغادرن إيطاليا، أعطى الأوامر باحتجازكن. قلنا له إننا نعتقد أنه تم استخدامكن كي تأخذن المجوهرات الحقيقية إلى خارج البلاد، ولم تكن هناك من طريقة ليعرف أن الأمور اختلفت كلياً منذ شهر تموز الماضي.

انهمرت دموع حارة من عيني بايبر، وأجابت: «إنه يقوم بعمله

بطريقة جيدة جداً.

ارتجف صوته وهو يقول: «وهو كذلك... لاسيما في حالتك. الحمد لله!».

- مرة جديدة حققت هدفك عبر منعي من مغادرة البلاد.

- ليس هذا ما أتكلم عنه، بايبر. كنت سألحق بك وأجدك حيثما تكونين. أنا أتكلم عن الشرطة التي ألقت القبض على لارس في ردهة فندق سبلنديدو خارج باب غرفتك. قام لارس بضرب حارسك حتى غاب عن الوعي، وكان على وشك الدخول إليك.

تجمّد جسد بايبر كقطعة جليد، وارتعدت خوفاً، ثم قالت: «أكان لارس في الردهة؟».

- نعم. بعد اتصالك الهاتفي، حذرت الشرطة ولحقت بإريك إلى فندق صغير قرب المحطة. بعد بضع دقائق، رأيت لارس يغادر بالسيارة، وكنت متأكداً أنه توجه إلى سبلنديدو.

أضاف: «بعد أن طوّقت الشرطة الفندق، تم ترحيل إريك إلى روما بالإضافة إلى بحار آخر كان يعمل على سفينة بريتانيا. بعدئذٍ انتقلت إلى بورتوفينو بالمروحية. لكنني واجهت تأخيراً عند الإقلاع بسبب عطل ميكانيكي. وحين وصلت إلى سبلنديدو، كان قد تم القبض على لارس، وطلب مني الحضور إلى روما».

ارتجفت بايبر ودفنت رأسها في الوسادة. تهدج صوت نك وهو يسألها: «أجيبيني عن سؤال واحد. لماذا لم تقودي إريك إلى السفينة؟ ألا تعرفين أنني كنت لأحميكِ؟ هل ثقتك ضئيلة بزوجك؟».

رفعت بايبر رأسها مجدداً، وأجابت: «ليس الأمر كذلك. ظن إريك أنني أوليفيا. وحين قلت له إنه على الأرجح التقى بأختي التي أتت إلى مونتوريسو على متن غابانيو في الصيف الماضي، ذكر أن لارس حاول أن يجد تلك السفينة بعد عدة أشهر من تلك الحادثة. انتابني الخوف من أن يرى سفينة أوليفيير ويلاحظ أنها السفينة نفسها.

ماذا لو حذّر لارس، وهرب هذا الأخير مجدداً؟ لذلك تظاهرت بأنني في رحلة عمل، واستقليت القطار إلى مكان آخر. ادعيت أنني بحاجة إلى الذهاب إلى بورتوفينو كي ألحق طلائع نور الفجر. بدا لي أن إريك صدق قصتي. اقترح أن يلقاني هناك في المساء التالي. قال إنه سوف يطلب من لارس أن يأتي ويصطحب حبيبته معه».

أردفت بايبر: «لم أعرف إذا كانت كاميلا هي تلك الحبيبة، لكنني لم أتفوه بكلمة بالطبع. لم أعرف ماذا كان علي أن أفعل غير ذلك».

أكد لها نك قائلاً: «في ظل تلك الظروف، قمت بعمل رائع. لكنك عرضتِ حياتك للخطر».

- أنا سعيدة لأنه تم القبض على لارس. هذا ما يهمّ. والآن أستطيع أن أعود إلى نيويورك وإلى عملي.

- لا. حبيبتي!

تشبثت بايبر بالغطاء في يديها، وقالت: «ماذا ناديتني للتو؟».

- ما كنت أناديك به طوال هذا الوقت باللغة الإسبانية... يا حبي، يا حبيبتي، يا زوجتي الساحرة، يا محبوبتي، يا قلبي، يا روحي.

لمعت عينا بايبر، وأجابت: «أرجوك! لا تفعل، نك... كفى!».

- أوافق. لا مزيد من الأقنعة. لا مزيد من الألعاب. في هذه اللحظة بالذات أنتِ وأنا فقط... كل على طبيعته... تجمعنا الحقيقة التي لطالما سعينا وراءها.

ارتفع حاجباها، وقالت: «كلامك يبدو غريباً».

- هذا لأنك تتكلمين إلى رجل محطم.

- نيكولاس دي باسترانا الجبّار لا ينكسر أبداً.

- هذا مجرد قناع أضعه كي لا يكتشف أحد حقيقتي.

قالت بايبر غاضبة: «كن جدياً، نك».

- لم أكن أكثر جدية في حياتي كلها. نشأت في عائلة باسترانا

وتربيت على مبادئها. تعلمت في وقت مبكر أنني أستطيع أن أحصل على كل ما أريده، وأكون من أريد ما دمت أطيع أبي وأنفذ رغباته.

أضاف نك: «المال، المركز، الألقاب، كانت كلها موجودة. وبما أن ابني عمي مُنحا السلطة ذاتها، خوّلنا هذا الأمر أن نعيش حياة رائعة. لم أذكر قط أنني حسدت رجلاً آخر، إلى أن طلب مني أبي تلك الخدمة التي ألقت بثقلها على حياتي».

- أتعني نينا؟

- نعم.

- لكنك أخبرتني أنك عرفت أنك سوف تتزوج بها مذ كنت في العاشرة من عمرك.

- هذا صحيح. لكن ما لم أقله لكِ هو أنني لم أكن أنوي أن أحقق مطلبه.

التفتت بايبر باتجاه نك، وقالت: «إذاً... أنا لا أفهم».

- ثمة سبب واحد لخطوبتنا. عانى أبي من قصور قلبي بسيط -أو على الأقل هذا ما أُعلمنا به أنا وأمي - وفيما كانت حالته تتحسّن، قال إنه خائف من أن يموت قبل أن يراني متزوجاً بنينا. يومها أخذني الطبيب جانباً، وقال لي إن أي توتر مفرط قد يؤدي إلى سكتة قلبية قاتلة. وكانت تلك مجرد كذبة لا أكثر.

بدت بايبر مشكّكة، وسألته: «هل كذب عليك الطبيب بشأن حالة والدك الصحية؟».

- أجبره أبي على ذلك. في الواقع، تم نقله بسرعة إلى المستشفى بسبب عسر حاد في الهضم بعد أن أكل الكثير من الأصداف البحرية المفضلة لديه. بدت الأعراض مشابهة لأعراض الأزمة القلبية.

ثم أكمل: «وجد أبي العذر المثالي الذي احتاج إليه كي يجعلني أفعل ما يريده، وهو أن أصبح مخطوباً رسمياً لنينا وأن أحدد موعداً للزفاف. وقعتُ في أكبر حيلة في العالم، ونجحت الحيلة حتى اليوم

الذي سألته فيه عن حالة قلبه، وإن كان قد خضع لفحص عام. تصرف يومها بطريقة غريبة جداً، فواجهت الطبيب الذي لم يستطع أن ينظر إلي، ثم عرفت. . .».

تصلب جسد بايبر وهي ما زالت في السرير، وقالت: «لا أستطيع أن أتخيل أباك يفعل ذلك».

- أبي واحد من بين الأشخاص الغريبي الأطوار. حين أدركت ما فعل، خططت لأن أسافر إلى كورتينا وأفسخ خطوبتي بنينا. عرفت أنها لم تحبني أيضاً، لكنها كانت خجولة وطيّعة جداً لتتجرّأ وتصارح أباها المستبد.

- لا أستطيع أن أفهم شيئاً ممّا تقوله.

- لو لم أعش هذه التفاصيل، لما فهمتُ شيئاً أنا أيضاً، لكن علاقة نينا السرية بلارس بدت معقولة بالنسبة إلي.

أردف نك: «حين قلت لها إنني لا أستطيع أن أتزوج بها، حاولت أن تخفي سعادتها عني، لكنني عرفت أن فسخ خطوبتنا بعث الفرح إلى قلبها. أما المأساة الكبرى، فكانت أن من بين كل الرجال الذين كان من المحتمل أن تحبهم نينا، وقع اختيارها على لارس».

سألته: «كيف تمكن أبوك من تركك تخضع لفترة الحداد الرسمية مع علمه أنه خدعك لتصبح مخطوباً؟».

- في الواقع، هو لم يقل شيئاً أو يفعل شيئاً ليشجعني.

- ماذا؟

- عرفتُ أنه يشعر بالسوء تجاه ما فعله بي، وبالذنب الكبير بسبب موت نينا. في الحقيقة، المرأة الأخيرة التي أرادني أن أتزوج بها هي كاميلا، فهي ليست طيبة القلب مثل نينا. دخلت متعمداً في فترة الحداد كي أجعله يظن أنه سوف يحصل على زوجة ابن لم يتمناها قط.

- نك. . . !

- أنا رجل فظيع، بايبر! لستُ فخوراً بتصرفي ذاك. فعلت ذلك لأردّ له ما قام به تجاهي. بالنسبة لي، أردت أن أكرم موتها. لو لم أطلب منها الزواج بي، لما كانت ميتة الآن.

تأوهت بايبر، ثم قالت: «لما كنتم ستعرفون لا أنت ولا أبوك ولا السيد روبلز أن نينا سوف تموت بسبب قاتل حر طليق».

أجاب نك بصوت أجش: «لكنها الشخص الذي لقي حتفه، وأنا المسؤول عن ذلك».

أحنت بايبر رأسها، وقالت: «أنا آسفة! لم آخذ حدادك على محمل الجد».

همهم نك بشراسة: «بالله عليك، لا تعتذري!».

وأكمل: «حين أتيتن على متن سفينة البتسيوني، وقعت في حبك على الفور، ولم أتمكن من السيطرة على ذلك الشعور. تغلغل حبك في أعماقي بسرعة، فلم أعد أعرف نفسي مطلقاً. فيما كان الحب يتغلغل في أعماق قلبي ابني عمي، كان علي أن أتظاهر أنني لا أشعر به. شعرت أنني مدين لنينا بتلك السنة تكفيراً عن ذنبي، فنذرت سراً أنني لن أقترب منك أو ألمسك حتى تمضي الأشهر الاثني عشر».

ثم أردف: «بايبر. . . ! حين تقرّبت مني بعد زفاف ماكس، تمنّعت عن رغبتي القوية فيك. كان علي أن أعاملك بقسوة. لم يكن هناك من وسيلة أخرى كي أقاوم مشاعري. حين سافرتِ إلى إسبانيا في شهر آب وتزوج لوك من أوليفيا، أردته أن يكون زواجاً ثنائياً. لم تتخيّلي كم رغبت في تلك الليلة بأن أختطفك من سيارة لوك وأجبرك على الزواج بي سواء بإرادتك أو بغيرها».

ما سمعته منه بايبر بعث فيها الارتياح والنشوة.

- لا أعرف كيف تركتك ترحلين، لكن اطمئني أنني رحت أعد الساعات حتى شهر شباط حين أستطيع أن آتي وأتوسل إليك أن تتزوجي بي. لكن ما إن رأيتك تجلسين خلف طاولتك، وقد بدوت

جميلة وبعيدة المنال، حتى فقدت هدوئي، لأنني عرفت أنني سوف أؤذيك إلى حد لن تسامحيني عليه. أوشكت أن أصاب بسكتة قلبية حين قلتِ لي إنك مخطوبة إلى دون.

ثم أضاف: «لو كان ذلك صحيحاً، لأصابني الجنون. كنت مستعداً لأن أحاربه حتى الرمق الأخير كي أحصل عليك».

في اللحظة التالية، انضم نك إليها في السرير. دفعها إلى الوراء، ثم قال: «عرفت أن نينا قُتلت، واستخدمتها بطريقتي الخاصة كي أتزوج بك».

انزلقت يدا بايبر إلى وجه نك حيث تحسست بداية نمو شعيرات لحيته. همست في أذنه: «لم يكن عليك أن تذهب بعيداً إلى هذا الحد، حبيبي. عرفت أنني أحبك، وأنني لك أخيراً».

- قوليها مجدداً بايبر!

صاحت بايبر بشغف: «أحبك! أنا واقعة في حبك».

وأردفت: «هل تظن أنني كنت لأوافق على اقتراحك المجنون بأن أتجسّس لصالحك لو لم أكن أنوي اللحاق بك إلى آخر الأرض؟».

أخمدت الكلمة الأخيرة حين شعرت بايبر بنك يعانقها بشغف. بالرغم من أنه عانقها من قبل، إلا أنه عناق لا يقارن بهذا العناق الذي ملأها بالنشوة، كأنه يتوسل إليها أن تحبه بلا حدود...

- نك...!

أخذت بايبر نفساً بملء رئتيها حين أفلتها نك، وقالت له: «لا يمكننا أن نفعل هذا هنا. ليس إذا كنا سنقوم بذلك بالطريقة التي أشعر بها نحوك».

جالت أصابع نك على ملامحها، وعنقها، وشعرها، ثم قال: «أعرف تماماً إلى أين يجدر بنا أن نذهب. تعالي معي، حبيبتي».

* * *

في الواقع السرير السفلي لسفينة أوليفيير لم يكن أوسع بكثير من

السرير في المطار، لكن على مرّ الأيام الأربعة، لم تلاحظ بايبر أين نامَا أو ماذا أكلا.

ما همّها؟ وجودها بين ذراعي نك وحبه اللامحدود يكفيانها.

همس نك بالقرب من أذنها عند استيقاظه: «هل من شيء تريدينه هذا الصباح؟».

تعلمت بايبر ميزة واحدة عن زوجها الجديد. إنه شديد الحماسة ومتشوق لمعرفة كل شيء. إنه يذكرها بطفل يركض الدرج نزولاً حتى يفتح هدايا عيد الميلاد قبل أن يستيقظ أي شخص في المنزل.

تعرف بايبر أنها متيمة بحب هذا الرجل المفعم بحب الحياة، فهو يسحرها. لم يكف عن الاعراب لها عن مدى حبه لها طيلة الوقت.

- نعم. أريد شيئاً هذا الصباح.

نظرت بايبر إلى عينيه. إنها مجنونة بحبه، بحيث تعجز الكلمات عن التعبير عن حبها له.

همس نك في شعرها: «وما هو؟».

- نحتاج إلى سفينة إبحار كهذه. فقد حُرم منها المسكينان لوك وأوليفيا لوقت طويل.

- كنت أفكر بالشيء نفسه منذ أن غادرنا جنوى. حين نرجع من ماربيلا، سنشتري واحدة لنا.

لمعت عينا بايبر الزرقاوان بحماس، وقالت: «لا أستطيع الانتظار! أعرف تماماً ما سأسميّها».

أجاب نك بنبرة غامضة: «كذلك أنا».

- لكنني أريد وضع الاسم الذي اخترته أنا عليها.

ردّ: «لكن الاسم الذي اخترته أجمل».

- قل لي ما هو.

- قولي أنتِ أولاً، حبيبتي.

- دون جوان.

ضحك نك بصوت خفيض، وقال: «لن أسمح بهذا. سوف نسميها «الدلفين الذهبي».

بالرغم من أنها أحبت اختياره، قالت بايبر: «أحب اسمي أكثر».

- لا. بايبر!

- أظن أننا نشهد شجارنا الأول.

أطلق نك ضحكة عميقة، وأحبت بايبر ضحكته.

أجاب: «تشاجرنا كثيراً من قبل، لابد أن تكون هذه المرة المئتين على الأقل».

- لا آبه لذلك ما دمنا سنبقى سوياً.

- أنتِ عنيدة سينيورا دي باسترانا، لكنني أحبك بالرغم من ذلك.

أغرق نك وجهه في شعرها الذهبي الكثيف.

- أتحرق شوقاً لأعدّ وجبتنا الأولى وأنظف بيتنا الجديد.

- لدينا مدبّرة منزل، وخادمات ليقمن بذلك.

- ما رأيك أن نوظفهن في عطلة نهاية الأسبوع فحسب. من الاثنين حتى الجمعة، أريد أن نكون زوجين عاديين. أريد أن أطبخ وأنظف وأعمل بأقصى جهدي.

علا صوت الضحكة أكثر، وارتجّت في الحجرة الصغيرة. ثم سألها: «أي منزل تريدين اعتباره منزلنا؟».

رفعت بايبر رأسها. وسألته: «ماذا تعني؟».

- حسناً! ثمة منزل في ماربيلا، وآخر في رونذا.

طرفت بايبر بعينها، وقالت: «رونذا؟».

ثم عبرت بصوت صارخ: «سمعتُ عن ذلك المكان في أعلى الجبال».

- نعم، يا زوجتي الحبيبة!

لامس نك بإصبعه طرف أنفها، ثم أضاف: «قبل أن يتصالح أبي معي في روما، تبرّأ مني وأمرني أن أبقى بعيداً عن البلدة لأنني

تزوجت بك، فقررت أن نعيش في رونذا حيث أعتني بالأحصنة».

انتفض قلبها قليلاً، ثم قالت: «أأنت جدي؟».

- بشأن الأحصنة؟ تماماً.

صاحت بايبر فيما مرّرت يديها على عنق نك: «لا!».

وأضافت: «هل كان ليتبرأ منك فعلاً».

- كان ليفعل، لكن بعد أن سمع قصة جريمة نينا، أدرك كم كان قريباً من خسارة ابن أخيه أيضاً، ناهيك عن ابنه. لذلك تغيرت نوايا قلبه، ونحن في صدد بداية جديدة.

- حمداً لله، نك.

هز نك رأسه إلى الأمام والخلف. وقال: «اعترف أبي أنه لو كان أصغر سناً، ولم يلتقِ أمي بعد، لسعى إلى طلب يدك».

- أنت تمزح!

أجاب نك، وهو يبدو فجأة أكثر جدية: «لا».

ثم أردف: «هو مفتون جداً بتوائم عائلة داتشس، لاسيما الفنانة بينهن».

- أنا سعيدة جداً لأنك تصالحت معه، حبيبي!

- كذلك أنا. وإلا لحرم نفسه من الاستمتاع برؤية أحفاده.

قالت بايبر: «آه، حقاً! لم أعرف أن لديه أي أحفاد».

- قد يكون لديه ثلاث أحفاد، لكن من الممكن أن يكون عمر الأطفال البنات الثلاث أربعة أيام فقط.

صاحت بايبر باندهاش: «بنات؟».

لم تنتبه بايبر حتى تلك اللحظة إلى إمكانية إنجابها لثلاث توائم.

- نعم. سوف يكون أبي موضع حسد لكل جد في الأندلس.

ضحكت بايبر. وأجابت: «وسوف تصبح أنت الأب الأكثر إرهاقاً، وحرماناً من النوم على وجه الأرض. لم ينجُ أبي قط من تلك المحنة».

- آه! لكنني أصغر سناً بكثير منه.

- قد يكونون ثلاثة صبيان، أو مزيجاً من الجنسين.

شدّها نك إليه أكثر، وأجاب: «سأتقبل الوضع مهما كان بأكبر قدر من السعادة. أنتِ حب حياتي، بايبر. لا أصدق أننا معاً أخيراً مع مستقبل رائع نتطلّع إليه قدماً».

اقتربت بايبر منه أكثر. وسألته: «هل تريد أن تعرف سراً؟».

- هل عليك أن تسألي؟

- حين قررنا نحن الفتيات أن نسافر في رحلتنا إلى أوربا، كنتُ أنا من اقترحتُ وضعنا لقلادات الدوقة. فكّر للحظة... لو لم...

قاطعها نك قائلاً: «دعينا لا نفكر بالموضوع».

وأردف: «لا أريد أن أفكر بالموضوع. فإن فكرة عدم اللقاء بكِ يعني أنه ما من حياة أخرى، وما من نجوم في السماء، وما من هواء أتنشّقه، وما من زوجة أعانقها، وما من قلب أشعل فيه لهيب الحب. هل أنا واضح؟»

- كالبلّور. يسعدني سماع مثل هذا الكلام منك نك. لا تتوقف.

- هذا ما سوف أفعله كل يوم يا حبيبتي!

- آه، نك...!